الصفات (التنزيهية) السلبية

إعداد

د. محمد عبد الوهاب محفوظ

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة

الصفات (التنزيهية) السلبية

محمد عبد الوهاب عبد الفتاح محفوظ.

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Mahfouz10@gmail.com

الملخص:

المقدمة: لقد اتفق المتكلمون على اتصاف الله عز وجل بالصفات السلبية، التي تسلب أَضداها عن ذاته تعالى كالقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية، إلا أن هناك فرق من الخارجة عن الديانة الإسلامية خالفت في هذه الصفات كالثانوية والمانوية، ومن أهل الديانة أيضًا من الذين ضلوا طريق أهل السنة كابن تيمية وأتباعة مستدلين على أفكارهم بأدلة من النقل والعقل.

الهدف: جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على رأي أهل السنة والجماعة من الأشاعرة في الصفات السلبية، مع بيان أراء المخالفين بالدليل المعتمد عندهم سواء من أهل الملة كابن تيمية وأتباعة، أم من غيرهم من أهل الديانات الوضعية، مبينًا ترجيح رأي أهل السنة ناقدًا لآراء المخالفين في هذه الصفات.

وقد عرضت هذا البحث في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، ففي الفصل الاول عرضت صفة الوجدانية بالتعريفَ والأدلة العقلية والنقلية علي ثبوتها لله تعالي، مع عرض أرآء المخالفين من أرباب الديانات الآخري ونقدها، وتفنيد أراء ابن تيمية وأتباعة في التقسيم الثلاثي للتوحيد مع نقده بالأدلة الممكنة،وفي الفصل الثاني عرضت صفة القدم بتعريفها والأدلة العقلية والنقلية علي ثبوتها لله تعالي، وفي الفصل الثالث عرضت صفة البقاء بذكر معناها والأدلة العقلية والنقلية علي ثبوتها لله تعالي، وفي الفصل الرابع

عرضت صفة القيام بالنفس بتعريفها والأدلة العقلية والنقلية علي ثبوتها لله تعالي، الفصل الخامس صفة المخالفة للحوادث تعريفها والأدلة العقلية والنقلية علي ثبوتها لله تعالي وزيلت البحث بقأئمة المراجع والمصادر وخاتمةٍ: فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي – التحليلي – النقدي – المقارن).

النتائج: يعتبر منهج أهل السنة الأشاعرة هو المذهب المعتمد عند كل فئات الأمة الإسلامية على مر العصور، وذلك لتوافقه مع النقل من القرآن والسنة، والعقل البشري.

التوصيات: يوصي البحث بالاهتمام بالابحاث العقدية ومحاولة عرضها بما يتناسب بالعصر الحالي لمحاولة تقريب المفاهيم العقدية للعصر الدي نعيشه.

الكلمات المفتاحية: الصفات السلبية، الوحدانية، القدم ، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس.

Negative (dishic) adjectives

Muhammad Abdul wahab Abdul fattah Mahfouz.
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Mahfouz10@gmail.com

Abstract:
Introduction: The speakers have agreed on the characterization of God Almighty negative qualities, which rob the opposite of Himself Almighty such as foot, survival, violation of accidents, self-doing and oneness, but there are teams of those outside the Islamic religion differed in these qualities such as secondary and Manichaeanism, and from the people of the religion also from those who strayed from the path of the Sunnis such as Ibn Taymiyyah and followers inferred their ideas with evidence from transport and reason.
Objective: This study came to shed light on the opinion of Ahl al-Sunnah wal-Jama'ah of the Ash'aris in the negative qualities, with a statement of the opinions of the dissenters with the evidence adopted by them, whether from the people of the sect such as Ibn Taymiyyah and his followers, or from other people of positive religions, indicating the weighting of the opinion of the Sunnis critical of the views of the dissenters in these qualities.
This research has been presented in the introduction, five chapters and conclusion, in the first chapter presented the character of emotional definition and mental evidence and transport to prove to God Almighty, with the presentation of the opinions of the violators of the leaders of other religions and criticism, and refutation of the views of Ibn Taymiyyah and his followers in the tripartite division of monotheism with criticism of possible

evidence, and in the second chapter offered the status of the foot by definition and mental evidence and transport to prove to God Almighty, and in the third chapter offered the status of survival by mentioning its meaning and mental evidence and transport to prove it to God Almighty, and in the chapter Fourth offered the characteristic of doing the self definition and mental evidence and transport to prove to God Almighty, Chapter V the description of the violation of accidents definition and mental evidence and transport to prove to God Almighty and removed the research Bqqm references and sources and conclusion: the most important findings of this research of the results, some proposals, the most important sources and references, and the index of topics.

Methodology: In this research, the integrative approach was followed (inductive - analytical - critical - comparator).

Results: The Ash'ari Sunni approach is the doctrine adopted by all segments of the Islamic Ummah throughout the ages, due to its compatibility with the transmission of the Qur'an, Sunnah, and the human mind.

Recommendations: The research recommends paying attention to doctrinal research and trying to present them in proportion to the current era to try to approximate the nodal concepts of the era we live in.

Keywords: Negative qualities, Oneness, Oldness, Survival, Accident offense, Self-doing.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

وبعد

فان لله تعالى صفات وجبت له ، منها الوحدانية ، والقدرة ، وقد خرج علينا قوم قالوا فى هذه الصفات ما لم يقل به أئمة أهل السنة ، وتقولوا عليهم ما ليس عندهم به دليل ،

وقد كتبت هذا البحث فى هذه الصفات مبينا موقف أهل السنة من هذه الصفات مفندا راى ابن تيمية وتلاميذه مبينا وجهة نظرهم وموقف العلماء منهم

واسال الله التوفيق والسداد

د محمد عبد الوهاب عبدالفتاح محفوظ

استاذ العقيدة والفلسفة المساعد كلية اصول الدين القاهرة

تمهيد

يعد المذهب الأشعري هو الأكثر اتباعًا في كل الاقطار الإسلامية، منذ ظهوره إلى يوم الناس الآن، وهذا المذهب منتسب إلى الإمام أبو الحسن الأشعرى(ت ٣٢٤هـ) [١] شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين هو مؤسس الفكر الأشعرى وإليه انتسب اسم المذهب، وقد كان الإمام فى أول أمره تابعاً لفكر الإمام الجبائى[٢] المعتزلى زوج والدته، واستمر على الإعتزال مدة أربعين سنة أو قريبًا من ذلك وبرع فيه حتى صار إماماً للمعتزلة[٣]وتعرض لإمام بعض الإشكالات على الفكر الإعتزالى فيسأل

---

(١) هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر اسحاق بن سالم الأشعرى البصرى، ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفى ببغداد ٣٢٤هـ، وقد بلغت مصنفاته ثلاث مائة كتاب، " مقالات الإسلاميين" ، و " الإبانة على أصول الدين" " اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع" ، وغير ذلك من المؤلفات، طبقات الشافعية، أبو بكر أحمد بن محمد ابن عمر الأسدى السهبى الدمشقى تقى الدين بن قاضى ، ١/ ١١٣ ، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، ط عالم الكتب، بيروت ، بتصرف.

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى أبو على ، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام فى عصره، ولد سنة ٢٣٥هـ ، وغليه نسبة الطائفة الجبائية، وله مقالات وآراء انفرد بها فى المذهب، وتوفى بجبى سنة ٣٠٣هـ، سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٦٣/١٥، بتصرف .

(٣) المعتزلة هم فرقة كلامية إسلامية، ظهرت فى أواخر القرن الثانى الهجرى، يرجع اسمها إلى اعتزال امامها، واصل بن عطاء مجلس الحسن البصرى، ولهم أصول خمسة يدور عليها مذهبهم وهى العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، شرح الأصول الخمسة، للقاضى عبد الجبار، ص ١٢٢ وما بعدها ، والملل والنحل للشهرستانى، من ص ٤٣ إلى ص ٤٦ ، ج١، مؤسسة الحلبى، مصر، ١٩٦٨ م .

عنها شيوخه ولا يجد إجابات شافيه عندهم عليها، وظل الأمر هكذا إلى أن أنار الله بصيرته، فخرج إلى الجامع وصعد المنبر وصاح بأعلى صوته: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله تعالى لا يرى فى الأخرة بالأبصار، وأن العباد يخلقون أفعالهم، وها أنا تائب من الإعتزال متصدى الرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافات عندى الأدلة، ولم يترجح عندى شئ، فاستهديت الله فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته كتبى هذه، ولقد انخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبى هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع للناس الكتب التى ألفها على مذهب أهل السنة إلى الناس(١).

وتوجد رواية أخرى لهذا الموقف وهي : أن الشيخ لما تبحر فى كلام الإعتزال وبلغ غاية كان يورد الأسئلة على الاساتذة فى الدرس ولا يجد جواباً شافياً فتحير فى ذلك فحكى أنه أنه قال " وقع فى صدرى بعض الليالى شئ مما كنت فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهدينى الطريق المستقيم، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام، فشكوت إليه بعض مابى من الأمر، فقال رسول الله صلى الله

(١) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكى، تحقيق: د.محمودالطناحى، ود.عبدالفتاح الحلو، ج٣، ص٣٤٨،٣٤٧، ط٢، هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٢.

عليه وسلم عليك بسنتى، فانتهيت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت فى القرآن والأخبار فأثبته، ونبذت ما سواه وراء ظهرى"(١).

وبهذا نرى أن الإمام الأشعرى أسس مذهب كلامى جديد سمته المنهجية الإنطلاق من الكتاب والسنة، ثم تعزيزه بالأدلة العقلية، ومن مؤلفاته التى تشهد بذلك كتاب " اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع"، و "الإبانة عن أصول الديانة"، و "إستحسان الخوض فى علم الكلام". وتسمى رسالة فى الرد على من ظن أن الإشتغال فى علم الكلام بدعة .، و "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، و "رسالة إلى أهل الثغر" فتلك المؤلفات وغيرها كانت خير معبر عن تلك الوسطية التى قامت عليها المدرسة الأشعرية، وقد أصبحت دستور المسلمين السنيين من بعده.

(١) تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعرى، ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف بن عساكر، ص ٣٩ ، ط ٣، دار الكتاب العربى ، بيروت، ١٤٠٤هـ .

الفصل الأول

إثبات الوحدانية لله عز وجل

إن إثبات وحدانية الله ، وانه سبحانه وتعالى لا شريك له في الملك هو جوهر وأساس كل الرسالات السماوية ، فما من نبي إلا وكان أول ما يواجه به قومه الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، يقول تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [١]

وقد حُكى ذلك في القرآن عن سيدنا نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب – عليهم السلام– وغيرهم. فكلهم نادى في قومه أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

وإذا كان الله لم يتعرض في القرآن لإثبات صفة الوجود مباشرة فإنه سبحانه شدد في القرآن الكريم على إثبات صفة الوحدانية ؛ لما لها من أهمية. فقد نَبَّهَ الله على وحدانيته فقال ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ [٢]

فنبه هنا على أنه أحد وليس له مثل ولا نِدّ ، ولا ولد ، ولا والد ؛ فهو واحد لا شريك له.

---

[١] –الأنبياء: ٢٥

[٢] –الإخلاص: ١ – ٤

ولفت الأنظار والعقول إلى أن كل الآلهة التي عُبدت من دون الله لا يمكن أن تكون آلهة ؛ لأنها مخلوقة ، والمخلوق لا يمكن أن يكون إلهاً ، قال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1]

وحينما بُعث النبي – صلى الله عليه وسلم – ودعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له لم يكن في الأرض من يعبد الله حق عبادته إلا أفراد معدودون ٠

فمنهم من يعبد مع الله غيره ، ومنهم من جعل الآلهة ثلاثة. ومنهم من شبه الله بخلقه ؛ فوصف الله بصفات النقص ، فهو يغضب ، ويبكي.. إلى غير هذه الأوصاف التي لا تليق بالله عز وجل. والمشركون يعبدون أصناماً من دون الله ، والمجوس يعبدون النار ، وكثير من الناس يعبدون آلهة غير الله ، فمنهم من يعبد الشمس والقمر والنجوم والحيوانات .. وغيرها.

هذا هو حال البشر وقت بعثة النبي– صلى الله عليه وسلم – فلم يكن أحد يعبد الله على هدىً ، فبعث الله نبيه إلى الناس ليردهم إلى حظيرة التوحيد الخالص ٠

وسيظل المسلمون إلى يوم القيامة هم وحدهم الذين يعبدون الله على هدىً حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؛ ولذلك لا يقبل من إنسان دين عند الله إلا الإسلام. يقول تعالى في كتابه العزيز " ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [2]

---

[1] – النحل: ٢٠

[2] –آل عمران: ١٩

وقال أيضاً :" ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [١]

فمن حاد بعد ذلك عن فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وعبد غير الله أو عبد معه غيره ، فقد عطَّل عقله ورضي بالمذلة والعبودية لما لا ينفع ولا يضر ، وسوف يندم يوم لا ينفع الندم ، ويتبرأ كل مشرك ممن عبده من دون الله ، يقول تعالى :" ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٢]

وحتى الشيطان سيتبرأ من الذين أغواهم وأضلهم يوم القيامة ويلقي عليهم اللوم لاتباعهم له ، قال تعالى حكاية عن ذلك :"﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٣]

---

[١] آل عمران: ٨٥-

[٢] القصص : ٦٢ – ٦٤

[٣] إبراهيم: ٢٢

ومعنى (بِمُصْرِخِكُمْ) أي : مغيثكم ، و(الصارخ والمستصرخ) هو الذي يطلب النصرة والمعاونة فهم يستغيثون بالشيطان وقتئذٍ لينجدهم مما هم فيه ؛ ولكن هيهات هيهات لما يأملون ويرجون.

ويقول تعالى – منبهاً أصحاب العقول غير السوية – :" ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1]

تعريف الوحدانية :

الوحدانية لغة: مأخوذة من الواحد، والواحد يطلق في اللغة على "الإنفراد وعدم التعدد" .لسان العرب، بن منظور،٣/٧٠، وهذا المعني هو أحد معاني الواحد عند علماء علم الكلام، فإن الواحد عندهم يطلق على معنيين:(نفي التقسيم والتبعيض، ونفي الشريك والتعدد) [٢].

عرف المتكلمون الوحدانية بأنها عدم مشاركة الغير له . تعالى . في ذاته وصفاته وأفعاله، فهي تعني عدم النظير فيهم [٣].

يقول صاحب " بحر الكلام " (الباري . تعالى . واحد ومعنى الواحد أنه الموجود الذي لا بعض ولا انقسام لذاته فإن الله تعالى واحد لا من جهة العدد) [٤].

---

[1] – الأنبياء: ٦٦ – ٦٧

(٢) الإقتصاد في الإعتقاد، الغزالي،ص٦٠

(٣) حاشية الباجوري على الجوهرة، ت/علي جمعه ص١١٤.

(٤) بحر الكلام، الإمام ميمون بن محمد، دراسة وتعليق/ ولي الدين محمد، ص٩٦، ط١، دار فرفور، دمشق ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م

ويقول الشهرستاني (فمعنى كون الباري تعالى وأحدًا أنه واحد في ذاته لا قسم له، وواحد في صفاته لا شبية له، وواحد في أفعاله لا شريك) [١].

والحاصل أن وحداينة الله تعالى تنفي عنه كمومًا خمسة:.

ـ فوحدانية الذات تنفي الكم المتصل وهو تركبها من أجزاء، والكم المنفصل وهو تعددها.

ـ ووحدانية الصفات تنفيهما كذلك، أما الكم المتصل فهو وجود صفتين لله تعالى من نوع واحد، وأورد عليه أن الكم المتصل مداره على شئ ذي أجزاء والصفات ليست كذلك، وأجيب عنه بأنهم نزلوا كون الصفات قائمة بذات واحدة منزلة التركيب، وأما الكم المنفصل المنفي عن صفاته تعالى فهو أن يكون لغير صفة مثل صفته تعالى.

ـ ووحدانية الأفعال تنفي الكم المنفصل قولًا واحدًا وهو أن يكون لأحد غيره تعالى فعل على وجه الإيجاد، وأما الكم المتصل في الأفعال فإن كان بمعنى تعدد أفعاله تعالى فهو ثابت، وإن كان بمعنى مشاركة غيره له في فعل من أفعاله تعالى فهو منفي[٢].

يقول الله سبحانه وتعالى مبيناً أنه ليس له نِدّ ولا ضِدّ ولا مثيل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [٣]

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، ص٩٠.

(٢) حاشية الباجوري على الجوهرة، ت/ الشيخ على جمعه، ص١١٤.

[٣] -الإخلاص: ١ – ٤

وتعبير القرآن بـ(أحدٍ) هنا ينفي عن الأوهام أن يكون الله واحد مثل الآحاد الأخرى ، فنبه القرآن الكريم على أنه واحد أحد لا ثاني له من جنسه ، ولا يشبه أحداً ؛. ، فهو واحد لا شريك له ولا نظير له ولا مثيل له بحسب ذاته وصفاته ، ولا يتوهم أن يكون معه .

هذا هو معتقد أهل السنة في صفة الوحدانية ،

وقد صور الإمام الغزالي عقيدة أهل السنة في التوحيد بقوله :(الحمد لله المبدئ المعيد ، الفعَّال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد ، المُنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم في ظلمات التشكيك والترديد ، والسالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى ، واقتفاء آثار الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد ، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ، المُعَرِّف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا نِدّ له ، وأنه واحد قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لا نهاية له)[1]

[1]– قواعد العقائد المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ
المحقق: موسى محمد علي (٥٠/١)
الناشر: عالم الكتب –
الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥

استدلال القرآن على وحدانية الله :

يوضح الله سبحانه وتعالى في القرآن أنه واحد لا شريك له ، ويسوق الدليل على ذلك في العديد من الآيات ، فمن ذلك قوله تعالى :" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ,,[١]

لو وجد آلهة مع الله لفسدت السموات والأرض ، ولكنهما لم تفسدا ؛ لأننا نشاهد الكون يسير إلى غايته دون خلل. والنتيجة أنه لا يوجد إله مع الله سبحانه وتعالى. ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٢]

فلو كان معه آلهة لحدث التنازع المؤدي إلى عدم انتظام أمر الكون ، وبما أن الكون منتظم فإن ذلك يعني أن الله واحد لا شريك له. وهناك آيات تثبت لله الوحدانية أولاً ثم تسوق الدليل على وحدانيته بعد ذلك كما في قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [٣]

فهذه الآية تقرر أن الله واحد لا شريك له ، ولكن ما هو الدليل على هذه الدعوى ؟ يذكر القرآن بعد هذه الآية الدليل على وحدانيته ؛ بقوله تعالى في الآية التي بعدها ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ

---

[١] –الأنبياء : ٢٢.

[٢] – المؤمنون : ٩١

[٣] – البقرة : ١٦٣.

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [1]

فهذه الأمور آيات ودلائل لمن كان له قلب يعقل به ، فهي تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى الذي سخَّر كل هذا للناس.

ويقول أيضاً ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [2]

فالله ينبه العقول على أن كل ما ترونه هو خلق الله فإذا كنتم تدعون أن هناك آلهة معه فأين المخلوقات التي خلقها الآلهة الآخرون ، ولن يستطيع أحد أن يجد مخلوقات لغير الله

ويذكر الله – سبحانه وتعالى – في موضع آخر أن الله خلق البشر ثم سَخَّرَ لهم كل ما في الأرض والبحار لخدمتهم ليسير لهم أمر الحياة ، ثم ينبههم إلى أن الآلهة التي يعبدها بعض الناس مع الله لا تملك شيئاً ولا تخلق ولا تسمع ، وسوف يتبرأ كل الشركاء من شركائهم يوم القيامة ، يقول تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي

---

[1] – البقرة : ١٦٤.

[2] – لقمان : ١١

ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾[1]

وفي موضع آخر يلزم الله الناس الحجة حين يقول سبحانه ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]

ففي هاتين الآيتين يتوجه الله إلى الناس بهذا السؤال : الله خير أم ما يشركون ؟ فأيهما خير : الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل المطر لينبت به النبات أم الشركاء الذين لا يستطيعون خلق شيء ولا فعل شيء ؟ والإجابة بلا شك واضحة

<u>أدلة أهل السنة العقلية على وحدانية الله :</u>

استدل أهل السنة على وحدانية الله بدليل عقلي مأخوذ من قوله تعالى" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا "

وهذا الدليل ملخصه أنه لو افترضنا أن هناك إلهين متساويان لما وُجِدَ العالم ، لأن وجود إلهين قادرين مظنة الاختلاف ، فإن أراد أحدهما خلق

[1] – فاطر : ١١ – ١٤.

[2] – النمل : ٥٩ ، ٦٠ .

محمد ، وأراد الآخر أن لا يخلقه فإن الاحتمالات العقلية في هذه الحالة لا تخرج عن ثلاثة احتمالات :

١- إما أن ينفذ مرادهما معاً.

٢- وإما ألا ينفذ مراد أيهما.

٣- وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر.

فالاحتمال الأول مستحيل ؛ لأنه لو نفذ مرادهما معاً فإن معنى ذلك أن الذي أراد أن يخلق محمداً خلقه ، والذي أراد استمرار عدم محمد جعله معدوماً فيكون محمداً في وقت واحد موجوداً معدوماً ، وهذا مستحيل.

وأما الاحتمال الثاني فإنه لو لم ينفذ مراد أي واحد منهما فإن معنى ذلك أن محمداً لا مخلوق ولا معدوم ؛ لأن من أراد أن يخلق لم يخلق ، ومن أراد أن يعدم لم يعدم ، وهذا مستحيل عقلاً أيضاً.[١]

وأما إذا نفذ مراد أحدهما ولم ينفذ مراد الآخر فإن الذي لم ينفذ مراده لا يستحق الألوهية لأنه عاجز ، وإذا كان عاجزاً فإن الآخر الذي نفذ مراده عاجز أيضاً لأننا افترضنا أنهما متماثلان ومتساويان ، فما يثبت لواحد يثبت للآخر أيضاً ، هذا في حالة اختلافهما ، أما إذا اتفق الإلهان ، فإذا اتفق الإلهان على خلق محمد وأراد كل منهما إيجاده ولم يختلفا فهناك احتمالات أيضاً كلها باطلة وهي :

[١]- ينظر شرح البيجوري على الجوهرة للقانى ١٨٧/١ ط المعاهد الازهرية ١٩٩٥

الأول : إما أن يوجداه معاً في وقت واحد وهذا مستحيل ؛ فلا يعقل أن يكون محمد مخلوقاً بقدرة الإلهين في نفس الوقت ويكون كل واحد منهما خالقاً لكل جزء منه في نفس الوقت

الثاني : أن يوجدا محمداً بالترتيب فيوجده الأول ثم يوجده الثاني بعده ، ولا شك أن الثاني لن يفعل شيئاً لأنه سيوجِد محمداً وهو موجود بالفعل بعد إيجاد الأول له ، فيكون عمل الثاني عبثاً لا يليق بالإله.

الثالث : أن يوجد كل منهما جزءاً من العالم ، وهذا ينسب النقص لهما ؛ لأن كل منهما لا يستطيع أن يوجد الجزء الذي أوجده الآخر ، ويثبت عجزهما ونقصهما ، والعجز والنقص لا يليقان بالله ، فإذا كانت كل هذه الاحتمالات باطلة فإن معنى ذلك أن ما أدى إليها وهو افتراض وجود إلهين أمر باطل ، ويثبت أن للكون إله واحد فقط.[١]

وهذا الدليل استمده المتكلمون كما قلنا من قول الله تعالى :" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " [٢]

فالله سبحانه وتعالى يستدل على وحدانيته بأنه لو كان هناك آلهة أخرى لاختل نظام الكون وفسد العالم ، وبما أن العالم لم يفسد فإن هذا يدل على أنه لا يوجد إله غير الله.

وكذلك استمد المتكلمون هذا الدليل من قوله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٣]

---

[١] –نظرات فى علم الكلام د عبد الفتاح الفاوى ص ١٢٧ ط كلية دار العلوم .

[٢] – الأنبياء : ٢٢.

[٣] – المؤمنون : ٩١

أي أنه لو وجد إلهان لتصادما واختلفا واختل حينئذ أمر الكون ، وبما أن أمر الكون لم يختل فليس هناك إله مع الله.

<u>الرد على المخالفين في الوحدانية</u>

قلنا سابقاً : إن أكثر أهل الأرض لا يعرفون لله حقه في التوحيد ، ولذلك أخبر الله نبيه في القرآن قائلاً ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ ﴾ [1]

فأغلب الناس يعبدون الله على ضلال أو يشركون معه غيره ، أو لا يوحدونه حق توحيده ، والموحدون حق التوحيد هم قلة من الناس ، فإذا دققنا النظر فلن نجد غير المسلمين يعرفون لله حقه في التوحيد – كما سبق وأشرنا – وإذا نظرنا إلى المخالفين في التوحيد فسوف نجدهم عدة طوائف وأصناف

فمن الناس من عبد النار كالمجوس واتخذها شريكاً مع الله ومنهم من عبد أصناماً مصنوعة من الجمادات والمعادن .ومنهم من عبد الأشجار .ومنهم من عبد الحيوانات ، كالبقرة والعجل وغيرهما. ومنهم من عبدوا البشر مثلما صنع فرعون بأهل مصر ، حتى ادعى أنه إلههم ومنهم من عبدوا النجوم والشمس والقمر ، وهم الصابئة.

ومنهم من اتخذ إلهين: إله الظلمة وإله النور، وهم طائفة تسمى (الثَّنْويّة)، وهم فرقة من بلاد فارس. ومنهم من عبدوا الشيطان مع الله ،

[1] – الأنعام : ١١٦.

وقالوا : إن الله خير لا يفعل الشر أبداً ، أما الشر فمن عمل إله آخر وهو الشيطان فعبدوه مع الله والعياذ بالله.[١]

رد القرآن على المخالفين في توحيده تعالى

لقد تنوع موقف القرآن الكريم من الطوائف التي خالفت في توحيد الله، فقد ذكر سبحانه وتعالى في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تبين للناس أن الله وحده هو المستحق للعبادة ؛ لأنه هو الذي خلقهم ورزقهم ودبَّرَ أمور حياتهم ، ووجه الأنظار إلى أن الآلهة التي يعبدها الناس من دون الله لا يمكن أن تكون آلهة ولا تملك لهم ولا لأنفسها شيئاً ، ثم ذكر الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة أنه إله واحد ولا يوجد له شريك ، وقدم الكثير من الأدلة على هذه القضية.

ثم رد القرآن على الطوائف التي أشركت مع الله غيره.

أولاً : الدعوة إلى التوحيد :

دعا الله سبحانه وتعالى الناس إلى النظر فيما أنعم عليهم ، فقد خلقهم ورتب لهم سبل الحياة ، ومهد الأرض لهم ، وأنزل لهم الرزق ، وسخَّرَ كل ما في الكون لهم ؛ ولذا فهو وحده المستحق للعبادة.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [٢]

[١] – القول السديد فى علم التوحيد بتصرف د ابو دقيقة ط الازهر ١٣٥/١

[٢] – البقرة : ٢١ ، ٢٢.

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات يُذَكِّرُ الناس بنعمه التي أنعمها عليهم ؛ فهو الذي خلقهم وبَسَطَ لهم الأرض وجعل السماء سقفاً من فوقهم ينزل منها الماء الذي هو السبب في خروج الرزق من الأرض ، ولذلك فهو سبحانه المستحق للعبادة وحده لا شريك له. ويقول تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

في هذه الآية يذكِّر الله الناس بأنهم لم يخلقوا أنفسهم وهم مقرون بذلك ، وإنما خلقهم الله تعالى وعليهم أن يعبدوه وحده فهم عبيده. ويقول تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[2]

فهذه الأمور تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

ثم وجه الله أنظار الناس إلى أن الآلهة التي تُعبد من دون الله لا تستحق العبادة ولا تملك من أمر الكون شيئاً ولا من أمر نفسها ، يقول تعالى :" ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[3].

---

[1] – الطور : ٣٥ .

[2] – ينظر شرح السنوسية ٢٣٥ ط دار الصالح

[3] – البقرة : ١٦٤.

[4] – الأحقاف : ٤

ففي هذه الآية يقرر الله أن المشركين يعبدون آلهة لا تستطيع أن تخلق شيئاً ، فكيف تكون آلهة وهي لا تملك من أمر الكون شيئا ؟!

ويقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [١]

فالله سبحانه وتعالى يبين للناس أن الآلهة التي تُعبد من دون الله لا تستطيع أن تخلق ذباباً ؛ وهو شيء حقير بسيط ولو اجتمع الناس وتعاونوا على ذلك فلن يستطيعوا ؛ بل إنه بلغ بهم الضعف إلى أنه حتى لو أخذ الذباب منهم شيئاً فلن يستطيعوا أن يستعيدوه منه ، فهل يستحق الألوهية من كان بهذا الضعف ؟.[٢]

ويقول تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [٣]

وفي هذه الآية يوضح الله سبحانه وتعالى أن الناس اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضر ، ويعيب الله على من اتخذ مع الله شريكاً فينكر عليهم ذلك ويوضح لهم أنه لا يوجد سبب مقنع يجعلهم يتخذون آلهة مع الله ، فهل

---

[١] – الحج : ٧٣.

[٢] – ينظر دقائق فى علم العقيدة د مصطفى حلمى كلية دار العلوم ج القاهرة ص ٣٥٦

[٣] – الرعد : ١٦.

وجدوا أن تلك الآلهة التي عبدوها مع الله تخلق خلقاً مثل الله فاختلط الأمر عليهم مما جعلهم يعبدونهم مع الله ؟ بالطبع لا ؛ فالله وحده هو خالق كل شيء ، فلماذا إذن اتخذوا شركاء مع الله.

وهناك آيات كثيرة من هذا القبيل. ونكتفي بما ذكرناه منها .

رد القرآن على الطوائف المخالفة في التوحيد

ذكرنا فيما سبق عدة طوائف من الذين خالفوا في توحيد الله سبحانه وتعالى ، وسنذكر هنا رد القرآن علي بعض هذه الطوائف باختصار.

الرد على من يعبدون الأصنام :

إن عبادة الأصنام هو نوع من أنواع تدني الفطرة البشرية وتدنسها ، ومثال واضح على الإنسان حين يُلغي عقله ويتبع آباءه وأجداده ويقلدهم تقليداً أعمى ؛ إذ أن صاحب العقل السليم الواعي يأبى أن يخر ساجداً لإله هو الذي صنعه بيديه من الحجر أو من المعادن أو حتى من الحلوى، فبأي عقل يفكر هؤلاء الذين تدنت فطرتهم ودُنست أنفسهم فرضوا بأن يذلوا أنفسهم لأصنام لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تعقل ولا تُغْني عنهم شيئاً ؟!!

ولقد وجَّه سيدنا إبراهيم –عليه وعلى نبينا السلام – لطمةً عنيفةً لِعَبَدةِ الأصنام ليفيقوا من غفوتهم ، ويرجعوا إلى عقولهم إن كانت لهم عقول ؛ حيث حَطَّم أصنامهم ، فلما سألوه "﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ " [١]

فإبراهيم هنا صدمهم بأن هؤلاء الذين تعبدونهم لا ينطقون ، وهذا نقص لا ينبغي للإله أن يكون فيه هذا النقص ، وكيف يُوهَبُ الإنسانُ هذه النعمة نعمة (النطق) والإله الذي يعبده لا ينطق ؟ وكان الأولى بهم حينئذٍ أن يرجعوا إلى عقولهم ، إلا أن عنادهم قادهم إلى الهلاك ، واستمروا على ضلالهم فقال لهم :

[١] – الأنبياء : ٦٢ ، ٦٣ .

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1]

وقد ورد على لسان إبراهيم – عليه السلام – أيضاً قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ " [2]

وهناك فريق من عبدة الأصنام قالوا إنهم يعبدون الله ويعلمون أن الأصنام ليست آلهة ، ولكنهم يعبدونها لتقربهم من الله ، قال تعالى حكاية عن ذلك

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [3]

فالله تعالى قد شهد بكذب هؤلاء ، ولو كان لهم عقل يعقل لعلموا أن عبادة أحد مع الله تُبعد العبد عن ربه ولا تقربه منه ، فأي إله هذا الذي يقبل أن يعبد غيره معه ؟! [4]

---

[1] – الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧.

[2] – الأنبياء : ٥١ – ٥٤.

[3] – الزمر : ٣ .

[4] – ينظر فيما سبق التفسير الكبير للرازى ط احياء التراث ، تفسير القرطبى ط دار الحديث ، تفسير الالوسى ط مكتبة الايمان

الرد على من يعبد الشيطان :

إن الإنسان ليعجب كل العجب من أمر أولئك الذين يعبدون الشيطان ؛ أي يخضعون أنفسهم له ، وما دفعهم إلى هذا إلا خوفهم من شره وبطشه وأذاه ، فقد اعتقد هؤلاء أن الله لأنه خير محض لا يستطيع أن يفعل الشر ، أو أن الشر لا يصدر ممن هو خير كله فقالوا : إن الشر له إله آخر شرير وهو الشيطان ، فهو الذي يفعل كل الشرور الموجودة ، والآلام التي تقع للناس كلها مصدرها الشيطان ، فجعلوا الشيطان خالقاً للشرور فعبدوه اتقاء شره ، وهذا إن دل فإنما يدل على ضعف الإنسان وقلة عقله ،

فإذا عرف الإنسان أن للكون خالقاً علم أنه لا يقع في ملكه شيء إلا بإذنه ، فلو وقع أذى أو ضرر أو سوء لإنسان فهو بأمر الله سبحانه وتعالى ، والشرور والآلام التي تقع للإنسان لا تخرج عن إرادة الله.[١]

وربما يتساءل إنسان ولماذا يوقع الله الآلام والشرور بالناس ؟

فنقول : إن ما يعانيه الإنسان في حياته ، وما يقع له من المصائب والآلام لها حِكَمٌ كثيرة ؛ فأحياناً تكون المصيبة دفعاً لضرر أكبر منها ، وأحياناً تكون تخليصاً لصاحبها من الذنوب ليلقى الله طاهراً صافياً نقياً ، إلى غير ذلك من الحِكَم الكثيرة.

وقد نبَّه القرآن الكريم على أن الشياطين لا يضرون أحداً إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ،وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٢].

---

[١] – تفسير ابن كثير بتصرف ٣٤٥/٢

[٢]– البقرة جزء من الاية : ١٠٢

ويحذرنا القرآن الكريم من أن نعبد الشيطان لأنه عدوٌ لنا ؛ حيث أقسم أن يقعد لبني آدم بالمرصاد ليصدهم عن سبيل الله ، أفبعد هذه العداوة يصح لصاحب عقل أن يعبد أكبر أعدائه ؟!!

إن الذين يفعلون ذلك سوف يندمون يوم لا ينفع الندم ، وسيقف إبليس اللعين في جهنم يخطب في أتباعه ، كما حكى القرآن الكريم ، يقول تعالى :" وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ".[1].

فالشيطان سيلقي باللوم على أتباعه وتبرأ ويتبرأ منهم ومن عبادتهم أو طاعتهم له ، فكيف يصوغ لإنسان بعد هذا أن يعبد الشيطان أو أن يلقي بنفسه في براثنه

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2]

[1] – إبراهيم ، ٢٢

[2] وينظر معنى الايات السابقة من تفسير القران الكريم للرازى والالوسى والتفسير الوسيط د محمد سيد طنطاوى الأعراف: ١٦ – ١٧

الرد على الثنوية :

الثَّنْوِيَّة : هم الذين عبدوا إلهين :

الأول : يسمى إله النور ، والآخر : يسمى إله الظلمة ، وكلامهم قريب من عبدة الشياطين ؛ فإله النور عندهم هو إله الخير ، وإله الظلمة هو إله الشر.[١]

والرد عليهم يتلخص في أن وجود إلهين سوف يؤدي إلى فساد السموات والأرض – كما أوضحنا في الدليل الذي استدللنا به على وحدانية الله – وبما أن السموات والأرض لم تفسدا فهذا دليل على أن الله واحد ، ثم أن النور والظلمة خلق من خلق الله ، فكيف يكون المخلوق إلهاً ؟ يقول تعالى رداً على من عبد الظلمة والنور ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[٢]

أي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي جعل – أي خلق – الظلمات والنور ، ومع أنهما مخلوقان فقد سوَّىَ عَبَدةُ الظُّلْمَة والنور بين هذه المخلوقات وبين خالقها ؛ فمعنى (يعدلون) يُسوون بين الله وبين الظلمة والنور مع أنهما خلق من خلقه ، فكيف يكون المخلوق والخالق سواء ؟!

الرد على عبدة النجوم والكواكب والشمس والقمر :

لقد ردَّ الله على هؤلاء الذين عبدوا الكواكب والنجوم والشمس والقمر بحجة آتاها إبراهيم – عليه السلام – حيث قال سبحانه وتعالى

---

[١] – ينظر موسوعة العقيدة اصدار وزارة الاوقاف المصرية ص ٥٦٧

[٢] – الأنعام : ١

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1]

فقد أراد سيدنا إبراهيم – عليه السلام – هنا أن يقنع القوم بالعقل أن النجوم والكواكب والشمس والقمر لا تصلح أبداً لأن تكون آلهة ؛ لأنها تتبدل فبعد أن كانت الشمس موجودة تغير وغربت ، وما يجوز عليه التبدل والتغير يكون حادثاً أي موجود بعد أن كان معدوماً، والإله لا يكون حادثاً يل لابد أن يكون قديماً بلا بداية ولا تقبل ذاته التغير

فهذا رد على من عبد شيئاً من الحوادث أي المخلوقات ؛ فالحوادث كلها مخلوقة ومتبدلة ومتغيرة ، والله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك.

وإن قول الله سبحانه وتعالى :" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ " [2]

دليل على أن كل ما عدا الله لا يكون إلهاً ؛ فالله لا يشبه أحداً ولا يشبهه أحد.

---

[1] – الأنعام : ٧٥ – ٧٩.

[2] – الشورى : ١١.

أنواع التوحيد عند ابن تيمية وتلاميذه

من الأمور التي استحدثت على موضوع الوحدانية تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات

وهذا التقسيم لم يرد في كلام علمائنا الأوائل حتى جاء ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

فقال بهذا التقسيم الذي تلقفه تلاميذ وقاموا بنشره في كل كتبهم حيث لا يخلو كتاب من كتب هذا الاتجاه من هذا التقسيم ولنا مع هذا التقسيم وقفة متأنية لنفهم وجهة نظرهم ونرد على ما ينبغي الرد عليه منه .

، وتقوم فكرة ابن تيمية في ذلك على التفرقة بين نوعين مختلفين من التوحيد ؛ توحيد يشترك فيه جميع البشر – من وجهة نظره ويسميه بتوحيد الربوبية ،

ونوع آخر خاص بالناجين من بني آدم يسميه توحيد الألوهية ، وسوف نتناول فيما يلي هذين النوعين بالتوضيح لنقف على حقيقة كل نوع حسب ما يرى ابن تيمية ومن وافقه من تلاميذه ثم نقوم بإبداء رأينا في هذا التقسيم .

أولاً توحيد الربوبية :

معنى توحيد الربوبية عند ابن تيمية هو توحيد الله بأفعاله ، واعتقاد أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق والملك والرزق والتدبير كما قال تعالى " ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " الأعراف ٥٤ فالله سبحانه وتعالى أولاً هو الخالق لا خالق سواه قال تعالى " هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والرض لا إله إلا هو " فاطر – ٣وقد قال

تعالى مبيناً بطلان آلهة الكفار " أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون " فالله تعالى هو وحده الخالق ؛ خلق كل شيء فقدره تقديرا .

وثانياً : إفراد الله بالملك فالله تعالى وحده هو المالك كما قال تعالى " تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير " [1]

وقال تعالى " قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون "

فالمالك المطلق للملك هو الله سبحانه وتعالى أما غير الله إذا ملك فملكه قاصر مقيد .

وثالثاً : إفراد الله بالتدبير فهو سبحانه الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال تعالى " ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين "

وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارض بشيء والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان لأمواله وخادمه وما شابه ذلك هو تدبير ضيق محدود ومقيد غير مطلق [2].

وتوحيد الربوبية كما يرى ابن تيمية ورفاقه يقر به كل الناس ولا يختلف فيه المسلم عن غيره من البشر فكل الناس يعلمون أن الذي خلقهم ويرزقهم ويدبر أمورهم هو الله سبحانه وتعالى ، فلا ميزة في هذا النوع من التوحيد لأحد على أحد ، ولم يرسل الله أنبيائه من أجل هذا النوع

---

[1] – سورة الملك ١

[2] – راجع دقائق التفسير لابن تيمية ٢٩٥/٢ الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) طبعة مؤسسة علوم القرآن دمشق ١٤٠٤ هـ الطبعة الثانية تحقيق علي بن محمد الدخيل

يقول ابن تيمية في ذلك " جميع المخلوقات سعيدها وشقيها ، والمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والنبي الصادق والمتنبئ الكاذب ، وأهل الجنة وأهل النار ، وأولياء الله وأعداؤه ، والملائكة المقربون والمردة الشياطين ؛ فإن هؤلاء كلهم يشتركون في هذه الحقيقة الكونية وهي أن الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره " [١]

وفي هذا الكلام من المبالغة ما لايخفى ويقول ابن تيمية أيضاً " وهذا – أي توحيد الربوبية – مما لم ينازع فيه أحد من بني آدم " [٢]

وإذا كان الناس جميعاً – كما يرى ابن تيمية – مقرين بهذا النوع من التوحيد ويستوي فيه البر والفاجر ؛ فإن هذا النوع لا ينجي صاحبه من عذاب الله تعالى ، ولا يدخله الجنة ما لم يقترن بتوحيد الألوهية

يقول ابن تيمية " وهذا التوحيد توحيد الربوبية العامة كان المشركون مقرون به ؛ فهو وحده لا ينجي من النار ، ولا يدخل الجنة " [٣].

<u>أدلة ابن تيمية على ما ذهب إليه :</u>

يستدل ابن تيمية على ما ذهب إليه من أن توحيد الربوبية لا يخالف فيه أحد من المشركين بعدة أدلة منها :

١– قوله تعالى " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون " قال عكرمة : تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم يعبدون غيره .

---

[١] –دقائق التفسير ٢٩٥/٢

[٢] – فتاوى ابن تيمية ٣٧/٢

[٣] – تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية ط مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ١٤١٧ هـ الطبعة الأولى تحقيق محمد علي كمال ٣٥٨/١

٢- **قوله تعالى** ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [١]

٣- **قوله تعالى** ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٢]

٤- **قوله تعالى** ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٣]

٥- **قوله تعالى** " ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [٤]

فهذه الآيات وأمثالها استدل بها ابن تيمية على أن توحيد الربوبية يقر به كل الناس من آمن ومن لم يؤمن ، فالكلام في هذه الآيات للمشركين وهم يجيبون بأن الله – سبحانه وتعالى – هو الخالق وهو المدبر .

---

[١] – المؤمنون: ٨٤ – ٨٩.

[٢] – العنكبوت: ٦١

[٣] – لقمان: ٢٥

[٤] – النمل: ٦٣ – ٦٥

يقول ابن تيمية بعد ذكر هذه الآيات " فإن هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأن الله تعالى خالق السموات والأرض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيئ... ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شراً من اليهود والنصارى فمن كان غاية توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين وهذا المقام مقام وأي مقام زلت فيه أقدام ، وضلت فيه أفهام ، وبدل فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الأصنام "[١]

<u>الأدلة العقلية على إثبات الوحدانية</u>

يستدل ابن القيم على وحدانية الله – تعالى – بوحدة نظام الكون وهو يستدل بهذا الدليل على نوعي التوحيد ؛ حيث يقول

" ودل على الأمرين أعني توحيد الربوبية والألوهية النظام الواحد ، والحكمة الجامعة للأنواع المختلفة مع ضدها ، ودل افتقار بعضا إلى بعض ، وتشبك بعضها ببعض ، ومعاونة بعضها بعضاً ، وارتباطه به على أكمل الوجوه وأحسنها على انتهائها إلى غاية واحدة ، ومطلوب واحد هو إلهها الحق ، ومعبودها الأعلى الذي لا إله غيره ولا معبود لها سواه"[٢]

ويستدل ابن تيمية على وحدانية الله (توحيد الربوبية) بالدليل الذي استخدمه المتكلمون قبله في صورة بسيطة حيث يرى أنه لو وجد إلهان

---

[١] – راجع فتاوى ابن تيمية ١٠١/٨ وما بعدها

[٢]– شفاء العليل لابن القيم ص٢٣٢ طبعة دار الفكر بيروت ١٩٧٨ تحقيق / محمد سعد الدين أبو فراس الحلبي .

فإما أن يكونا متساويين في القدرة أو يكون أحدهما أقوى والاخر اضعف ؛ فإن كان أحدهما أقوى فهو الإله ، وإن تساويا فإن هذا سيؤدي إلى اختلافهما ، وسيؤدي هذا الاختلاف إلى المشاحنة واستعلاء كل منهما على الآخر مما سيؤدي إلى فساد حال الكون ، وابن تيمية يشير إلى أن دليل التمانع الذي استخدمه المتكلمون هو برهان تام على مقصودهم ؛ وهو امتناع صدور العالم عن اثنين ، وإن كان هذا هو توحيد الربوبية "[1]

وهذا الكلام من ابن تيمية يفهم منه موافقته على استخدام هذا الدليل – دليل التمانع – للاستدلال به على توحيد الربوبية .

ثانياً توحيد الألوهية

تعريفه : يعرف ابن تيمية توحيد الألوهية قائلاً " توحيد الألوهية هو عبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله ، وفعل ما يحبه ويرضاه وهو ما أمر به ورسوله أمر إيجاب أو استحباب ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله وموالاة أوليائه ومعادة أعدائه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان "[2] .

والتعريف السابق لتوحيد الألوهية يوضح أن هذا النوع يعني إتيان العبادات التي أمر الله بها والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه إلى آخر كلامه وإدخال مثل هذه الأمور في باب التوحيد أمر فيه نظر فمن وجهة نظري أن هذه الأمور من مسائل الفروع ، والمختص بها علم الفقه لا علم

---

[1] – درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٥٢/٩طبعة دار الكنوز الأدبية – الرياض ، ١٣٩١ هـ تحقيق/ محمد رشاد سليم

[2] – دقائق التفسير ٢٩٥/٢

العقيدة، واعتبار العبادة وغيرها من الفروع من صميم التوحيد أمر خطير؛ لأن معنى هذا أن المسلم الذي شهد إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قصر في العبادات أو تهاون فيها كسلاٍ لا إنكاراً خارج عن دائرة الموحدين

وهذا فيه كثير من الشطط خاصة أننا إذا أمعنا النظر في كلام ابن تيمية السابق نجده يقول : إن توحيد الألوهية هو العبادة وفعل المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه ، ولم يقل اعتقاد أن الله وحده المستحق للعبادة دون سواه فلا شك أن هذا الأمر يكفر منكره فلو أقر شخص بالله سبحانه وتعالى ، وأنه خالق كل شيء ثم اعتقد أن غيره يجوز أن يعبد من دونه أو معه فهذا لا شك في كفره ، أما من اعتقد أن الله – سبحانه وتعالى – هو وحده المستحق للعبادة ثم لم يعبد الله أو تهاون في هذه العبادة فإن أحداً لا يستطيع أن يكفره أو يخرجه من حظيرة الإسلام ، وكلام ابن تيمية السابق جعل ممارسة العبادة هي التوحيد الذي يكفر من لا ينفذه ، وهو يقول : إن الذي لا يقوم بهذا التوحيد أي العبادة – من المسلمين هو شر من اليهود والنصارى فيقول عقب الكلام السابق مباشرة (فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء – أي توحيد الألوهية أو العبادة – ويكون مع أهل الحقيقة الدينية فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى) [١]

والكلام السابق فيه من التشدد ومجاوزة الجد ما فيه ، وجعل المسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله أشد كفراً من اليهود والنصارى الذين اتخذوا مع الله آلهة من البشر ومن الملائكة أمر لا يقر

[١]– دقائق التفسيرلابن تيمية ٢/٢٨٥

به منصف ؛ بل إن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا في القرآن أنه لا يستوي المسلم وغير المسلم

قال تعالى " أفنجعل المسلمين كالمجرمين " ويلاحظ في الآية السابقة أن الله سبحانه وتعالى لا يسوي بين المسلم وغيره ، والمسلم هو من نطق بالشهادتين فقط حتى ولو لم يفعل من الطاعات شيء فكيف يجرؤ مسلم أن يقول : إن المسلمين الذين لا يؤدون العبادات أكفر من اليهود والنصارى والنبي – صلى الله عليه وسلم – أخبر أن من قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه دخل الجنة وإن سرق وإن زنى [1]

فمجر الإقرار بالشهادتين كافٍ في النجاة يوم القيامة ، فكيف ساغ لابن تيمية ومن وافقه أن يقول هذا الكلام .

<u>أهمية هذا النوع من التوحيد عند ابن تيمية:</u>

يعتبر توحيد الألوهية عند ابن تيمية ومن وافقه أعظم أنواع التوحيد وأهمها على الإطلاق ، وهو الذي يتبادر إلى الذهن – كما يدعون – عند إطلاق كلمة التوحيد وتأتي أهميته عندهم من أنه دعوة الرسل جميعاً ، وهو معقد النجاة في الدنيا والآخرة على زعمهم .

يقول ابن القيم في ذلك : (وتوحيد الألوهية هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده فإن عباد الأصنام كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده

[1] –راجع الحديث في صحيح الإمام مسلم ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات مشركاً دخل النار ٩٥/١ طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

خالق كل شيء وربه ومليكه ، ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد الربوبية)[١]

وكلامهم هذا فيه نظر ؛ لأن القول بأن توحيد الألوهية أي العبادة هو المنجي أمر لا يسلم من النقد فماذا لو أن إنساناً أسلم ثم لم يأت بشيء من العبادات فهل يكون هو والمشركين سواء؟ وكيف يقال إن توحيد الألوهية هو المقصود وهو دعوة الرسل وقد ظل النبي – صلى الله عليه وسلم – في مكة ثلاث عشرة سنة لا يعلم المسلمين من أمور العبادة إلا القليل فقد ظل النبي زمناً طويلاً في مكة يثبت للناس عقيدتهم في الله ويصححها لهم مما يدل على أهمية ذلك ؛ فلو كان المشركون مقرين بتوحيد الربوبية لا يمارون فيه فإن إضاعة كل هذا الوقت من النبي عبث والعياذ بالله .

ويقول ابن القيم مؤكداً ما ذهب إليه (وتوحيد الألوهية رأس الأمر ، وأما توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر وقرره أهل الكلام في كتبهم فلا يكفي وحده ؛ بل هو الحجة عليهم) [٢]

مما سبق يتضح لنا مدى أهمية هذا النوع من التوحيد عندهم فهو المنجي يوم القيامة وهو الذي يفرق بين البر والفاجر ، والمسلم والكافر ، وهو الذي بعث الله به أنبيائه إلى أقوامهم فهو رأس الأمر كله وهو الذي حارب عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – أعدائه .

---

[١] –عدة الصابرين لابن القيم صـ ٣٥ طبعة المكتبة العلمية – بيروت ، بدون تاريخ تحقيق / زكريا علي يوسف .

[٢] – إغاثة اللهفان ابن القيم ٣٠/١

ونحن نقول : ألم يحارب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المشركين إلا من أجل العبادة فقط ؟ ألم يحاربهم على عدم الإيمان به ؟ ألم يحاربهم على إنكارهم العقائد مثل البعث والجنة والنار وغير ذلك ،

بل أقول لابن تيمية وتلاميذة إن المشركين لو لم يخلطوا تكذيبهم للنبي بمحاربته وقتل أصحابه ما حاربهم النبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه لا إكراه في الدين ومن شاء فليؤمن فمن شاء فليكفر .

إن حصر التوحيد في العبادة فقط أمر لا دليل عليه ولا يثبت أمام التحقيق العلمي البعيد عن التعصب .

ويوضح ابن تيمية أن توحيد الألوهية هو التوحيد الحقيقي ، وأن توحيد الربوبية لا يتميز فيه أحد من المخلوقات على غيره يقول ابن تيمية " فمن الناس من لا يميز بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات سيعدها وشقيها ويشترك فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر ، والنبي الصادق والمتنبئ الكاذب ، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه ، والملائكة المقربون والمردة الشيطان ؛

فإن هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية ، وهي أن الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره . ولا يشهد الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه وبين المؤمنين والكافرين ، والأبرار والفجار ، وأهل الجنة وأهل النار وهو توحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله ، وفعل ما يحبه ويرضاه وهو ما أمر به ورسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله وموالاة أوليائه ومعادة أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان ، فمن لم يشهد هذه

الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون مع أهل هذه الحقيقية الدينية وإلا فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى " [١]

ومما يلفت النظر في النص السابق قول ابن تيمية إن توحيد الألوهية يدخل فيه ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو استحباب وهذا كلام خطير ؛ لأن اعتبار الأمور المستحبة من صميم التوحيد المنجي من عذاب الله سيدخل كثيراً من المسلمين في دائرة الشرك ؛ لأن هذا الكلام قد يظن من يقرأه أن الذي لم يفعل ما أمر الله به ورسوله على طريق الاستحباب قد أصاب توحيده خلل ، وهذا النوع من التوحيد لا يصلح فيه الخلل ؛ لأنه الفارق بين المؤمنين والمشركين فكيف يستقيم هذا ؟

<u>الأدلة على توحيد الألوهية عند ابن تيمية.</u>

يستدل ابن تيمية ومن وافقه على هذا النوع من التوحيد بعدة أدلة منها :

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية فإن من أقر بأن له رباً خالقاً رازقاً مدبراً لزمه أن يخلص له العبادة وحده ، فتوحيد الألوهية لازم لتوحيد الربوبية

يقول ابن القيم (والألوهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه ومن لوازم توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الألوهية) [٢]

---

[١] دقائق التفسير / ابن تيمة ٢/٢٩٥ ط دار المنهاج

[٢] إغاثة اللهفان / ابن القيم ٢/١٣٥ ط مكتبة الايمان

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد حيث يقول (فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من البرهان الشافي في التوحيد أي إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال – أي خلق السموات والأرض – فكيف يجعلون له أنداداً وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله)

فابن القيم هنا يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ، أي إذا كان المشركون مقرين بأن الله تعالى لا شريك له في أغعاله من خلق ورزق وغير ذلك فكان يلزمهم أن يقروا بأنه لا ند له في العبادة فلا يستحق أحد العبادة سواه .

٢- ومن الأدلة التي يسوقها هذا الفريق على توحيد الألوهية الاستدلال بالنظام الواحد في الكون على وحدانية الإله الخالق ، والمستحق وحده للعبادة

يقول ابن القيم (ودل على الأمرين معاً ، أعني توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية النظام الواحد والحكمة الجامعة للأنواع المختلفة مع ضدها ، ودل افتقار بعضها إلى بعض وتشبك بعضها ببعض ومعاونة بعضها بعضاً ، وارتباطه به على أنها من صنع فاعل واحد ورب واحد ... ودل انتظامها في ثباتها واختلافها على أكمل الوجوه وأحسنها على انتهائها إلى غاية واحدة ، ومطلوب واحد هو غلهها الحق ومعبودها الأعلى الذي لا إله غيره ولا معبود سواه) [١]

[١] – شفاء العليل/ ابن القيم ص ٢٣٢ ط دار السلام

وهذا الدليل قريب من سابقه؛ لأنه يربط بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فأفعال الله تؤدي إلى الإقرار له باستحقاقه العبادة دون غيره .

٣- هناك آيات كثيرة يتخذها ابن تيمية وأتباعه دليلاً على توحيد الألوهية من هذه الآيات :

- قوله تعالى " وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم " فالإله المستحق للعبادة واحد لا شريك له .

- ويقول تعالى " وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد "

- ويقول تعالى " ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه "

- ويقول تعالى " واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون"

- ويقول تعالى " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة "

كل هذه الآيات وأمثالها من الآيات التي توضح أن الله وحده هو الذي يجب أن يعبد استخدمها ابن تيمية ومن تابعه كدليل على توحيد الألوهية.

٤- من الأدلة أيضاً التي استخدمها ابن تيمية ومن تابعه على توحيد الألوهية أن الرسل جميعاً أرسلوا بهذا التوحيد وأوحى الله إليهم جميعاً أن يبلغوا دعوة توحيد الألوهية إلى الناس ويستعرض ابن تيمية بعضاً من الآيات التي توضح ذلك مثل :

– قوله تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام " لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " – وعن عيسى عليه السلام يقول تعالى " وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم "

– ويقول تعالى لنبيه " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله "

– وقال تعالى " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " فهو أمر للناس عامة أن يفردوا الله بالعبادة .

والآيات السابقة وأمثالها تدل من وجهة نظرهم على توحيد الألوهية ؛ فالرسل بعثوا بتوحيد الألوهية ودعوة أقوامهم إلى إفراد الله بالعبادة ، واجتناب عبادة الطواغيت والأصنام .

٤– ويستدل ابن القيم على توحيد الألوهية بقوله تعالى " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض " حيث يقول فيها

" فتأمل هذا البرهان بهذا اللفظ الوجيز البين فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عباده النفع ويرفع عنهم الضر ، فلو كان معه – سبحانه – إله لكان له خلق وفعل وحينئذٍ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه بل إن قدر على قهره وتفرده بالألوهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بممالكهم فإذا لم يقدر المنفرد على قهر

الآخر والعلو عليه فلابد من أحد أمور ثلاثة : إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه ، وإما أن يعلو بعضهم على بعض ، وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون . وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام الحكم لا يختلف ولا يفسد هو أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره " [١]

وهناك حديث للنبي – صلى الله عليه وسلم – يستدلون به وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي ذر " أتدري ما حق الله على العباد قال الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً قال أتدري ما حق العباد إذا فعلوا ذلك قال الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم " [٢].

هذه طائفة من الأدلة التي استدلوا بها على ما ذهبوا إليه وسنترك الرد على ذلك إلى نهاية البحث .

<u>النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات</u>

وهو يعني إفراد الله – سبحانه وتعالى – بما سمى به نفسه ، ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – وذلك لإثبات ما أثبته لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا

---

[١] – الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٤٦٣/٢-٤٦٤ ط دار العاصمة – الرياض ١٤١٨ هـ ط الثانية / تحقيق / د. علي بن محمد الدخيل .

[٢] الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الايمان بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ ٥٨٣٠/١

تمثيل فلابد من الإيمان بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز ولكن من غير تكييف ولا تمثيل [1].

وهذا النوع من التوحيد هو الذي جرى فيه خلاف شديد بين أصحاب هذا الاتجاه وغيرهم ؛ حيث إنهم من هذا المنطلق أثبتوا لله الوجه واليد والاستقرار على العرش والنزول وغير ذلك مما لم يوافقهم عليه أكثر العلماء وهم يدعون أن قولهم هذا هو مذهب السلف وليس الأمر كذلك ؛ لأن السلف – رضوان الله عليهم – كانوا يسكتون عن هذه الآيات بعد اعترافهم بأن ظاهرها الذي لا يليق بالله غير مراد إلا أنهم لا يؤولونها ولا يتكلمون في المراد منها ، فهم يرون مثلاً أن اليد الحقيقية التي هي الجارحة التي نعرفها غير مرادة وإنما لا يخوضون في المقصود من اليد فلا يؤولونها بالقوة أو النعمة أو غير ذلك ،

أما ابن تيمية ومن وافقه فقد قالوا : إن اليد على حقيقتها وهي مرادة من اللفظ فالله – سبحانه وتعالى – لا يخاطبنا بشيء لا نعرفه فأين هذا من مذهب السلف ؟ ثم إن قولهم من غير تكييف ولا تشبيه لا يفيد شيئاً بعد أن أثبتوا لله يداً أو وجهاً أو غير ذلك .

[1] محمد بن صالح العثيمين ، مقال بعنوان "التوحيد وأنواعه " على موقع روح الإسلام www.islamspirit.com

نقد تقسيم التوحيد

تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية وغير ذلك من تقسيم لم يعرف قبل ابن تيمية ، وهو الذي تحدث طويلاً هو وأتباعه عن البدعة وشنعوا على كثير من المسلمين في ذلك ؛ فما كان رسول الله صلى عليه وسلم يقول لمن يدعوه إلى الإسلام أن هناك أنواعاً من التوحيد ، وأنك لا تكون مسلماً ما لم تكن مقراً بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ،ولا أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك بكلمة واحدة في حديث حمل إلينا بطريق صحيح أو سقيم ، ولا ورد هذا عن أحد من السلف – رضوان الله عليهم –

وقد قال ابن تيمية نفسه (لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه ولا له) [١]

ومع ذلك فلا معنى لهذا التقسيم ؛ لأن الإله الحق هو الرب الحق ، والإله الباطل هو رب باطل ولا يستحق العبادة والتأييد إلا من كان رباً ، وليس من الحكمة ولا من مقتضى العقل أن نعبد ما لا نعتقد أنه نافع ضار محيي مميت رازق وهاب .... الخ فمن اعترف بالرب الحق لزمه أن يفرده بالعبادة ؛ لأن الربوبية هي سبب داعٍ للعبادة كما قال تعالى " رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا " فجعل العبادة مترتبة على ربوبيته سبحانه .

[١] – درء تعارض العقل والنقل ٢٢٩/١–

ويتعجب الله من أناس لا يسجدون لله الذي بيده الخلق والأمر حيث يقول – تعالى – " الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض "

والآية أيضاً يؤخذ منها أن الله يخرج الخبء في السموات والأرض وهذه أفعال من أفعال الربوبية كما يدعون ولكن الآية لا تفرق بين الإله والرب فتقول عن الله إنه خالق ومدبر .

هذا وهناك آيات كثيرة في القرآن تنقض كلام ابن تيمية ومن تابعه حيث يدعون أن توحيد الربوبية مما لم يخالف فيه أحد من البشر ، وإنما الاختلاف وقع في توحيد الألوهية ، ففي القرآن نجد آيات كثيرة تخالف ذلك ؛ من ذلك قوله – سبحانه وتعالى – " ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً " لا آلهة والآية تصرح بأن الناس اتخذوا ارباباً متعددة . ويخبرنا الله على لسان يوسف – عليه وعلى نبينا السلام – وهو يحاور صاحبيه في السجن فيقول " أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار " والآية فيها أمران :

أولاً : يفهم من الآية أن القوم كانوا يتخذون أرباباً متفرقة فكل مجموعة تتخذ لها رباً تعتقد في ربوبيته .[1]

ثانياً : يفهم منها أن الرب والإله لا فرق بينهما فالآية تقول " أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار " ولم يقل أم الرب فلا فرق في الآية بين ربوبية وألوهية من وجهة نظري . وهناك شيء ثالث يفهم من الآية وهو أن يوسف دعاهم إلى اتخاذ الله رباً بدلاً من الأرباب الأخرى ولم يقل

[1] – ينظر ابن تيمية فى الميزان ص ٥٦ د احمد عبد المنعم مكتبة دار الاحسان ط ٢٠٠٤

لهم اتخذوه إلهاً فلو كانوا مقرين بربوبيته كما يدعي ابن تيمية لكان كلام يوسف لغواً لا فائدة منه ، أو أن يوسف لا يعرف الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فهل هم أعرف بالتوحيد من نبي من أنبياء الله ؟

وكذلك يقول – تعالى – " وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ " فالواضح من الآية أنهم لا يتخذون الرخمن رباً .

ويقول – تعالى – " قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا " فالواضح من الآية أن أحدهما كان لا يقر بربوبية الله والآخر يرده عن غيه وضلاله .

ثم يحكي لنا القرآن مشهداً من مشاهد يوم القيامة حيث يتبرأ فيه المشركون ممن اتخذوهم أرباباً من دون الله أو مع الله يقول – تعالى – رواية عنهم " تا الله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين "

فهم يندمون ويعترفون بخطئهم حيث جعلوا شركاءهم مساوين لرب العالمين في الربوبية كما هو واضح من ظاهر الآية ثم انظر إلى قوله – تعالى – وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً " فهل الذين يقولون هذا يقرون بتوحيد الربوبية ؟ بل انظر إلى فرعون وهو يقول لقومه " أنا ربكم الأعلى " فهل فرعون هذا مقر بتوحيد الربوبية لله وهو يدعيها لنفسه ؟

وفي قصة إبراهيم – عليه السلام – مع النمرود يخبرنا الله – سبحانه وتعالى فيقول ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى

بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [1]

فالآيات توضح أن الخصومة كانت في الربوبية فالرجل حاج إبراهيم في ربه وليس في إلهه وادعى أنه يفعل أفعال الربوبية من الإحياء والإماتة ، فهل بعد هذا يقال إنه كان مقراً بتوحيد الربوبية .[2]

وفي السنة ورد أن الإنسان يسأل في قبره من قبل الملكين عن ربه أولاً لا عن إلهه فلو كان هناك فرق لسئل من ربك ؟ ثم من إلهك ؟

ولو كان كلام ابن تيمية ومن وافقه صحيحاً في أنه لم يخالف أحد في توحيد الربوبية لما كان لسؤال الملكين من ربك ؟ جدوى ، وكان الأجدر أن يسأل من إلهك الذي تعبد وفي قصة هود – عليه وعلى نبينا السلام – ما يؤكد أن قومه كانوا يعتقدون أن لألتهم تحكم وتدبير وتصرف في الكون حيث يقول القرآن فيهم " إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء " أي أنهم يعتقدون أن آلهتهم أصابت هوداً بسوء ،

وهذا التأثير من خصائص الربوبية ، فهل يقال : إنهم مقرون لله بالربوبية بعد ذلك ، ويوضح لنا القرآن أيضاً أن المشركين كانوا يعتقدون أن ما كانوا يعبدونهم من دون الله ويدعون أنهم يتخذونهم شفعاء كانوا يظنون أنهم شركاء فيهم يقول – تعالى – " وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء " أي شركاء في تسيير أموركم وتدبير أحوالكم .

---

[1] – البقرة: ٢٥٨

[2] – تفسير المراغى ط مكتبة دار المؤسسة المحمدية ٧٨/٢

ومما يدل على ذلك أن أبا سفيان كان يقول يوم أحد (أعل هبل) أليس في هذا اعتقاد أن النصر بيد هذا الصنم الذي يعبده ؟ هل بعد هذا يقال إنهم يقرون بتوحيد الربوبية مثل المسلمين سواءً بسواءٍ وإنما كفروا لإنكار توحيد الألوهية فقط ؟[١]

ومما ينقض كلام ابن تيمية أيضاً أن الله نهانا نحن المسلمين أن نسب أصنامهم حتى لا يسبوا الله بسبب ذلك يقول تعالى " ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم "

فهل إذا كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأنهم ما يعبدون الأصنام إلا لتقربهم من الله حقاً هل كانوا يجرؤون على سب ربهم هذا ؟

ثم إن التاريخ يموج بالحركات والمذاهب الإلحادية التي لا تؤمن بإله ، ويحكي لنا القرآن قول الدهريين الذين يرون أنه لا يوجد إله خالق وإنما الدهر هو الذي يصرف أمورهم يقول – تعالى – عنهم " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر " وسلسلة الملحدين لا تنتهي ولن تنتهي ؛ ففي عصرنا الحديث يوجد من الملحدين أعداد تجل عن الحصر ، بل إن دولاً ومجتمعات قد اتخذت من الإلحاد عقيدة مثل المجتمعات الشيوعية التي أنكرت وجود الله ، وقالوا إن الطبيعة هي التي تصرف أمور الناس بما فيها من قوانين ثابته والبعض يدعي أن العالم وجد مصادفة بلا خالق ، وهو لا يحتاج في استمراره إلى خالق أيضاً .

---

[١]– ١ ينظر كتاب الأصنام٧٦/

المؤلف: أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ، المحقق: أحمد زكي باشا، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٠م

كل هؤلاء وغيرهم يتكرون وجود خالق لهذا الكون خلقه ويدبر أمره فهل بعد هذا يمكن أن يقول أحد إن توحيد الربوبية قد أقر به كل البشر ؟[1]

وأما استدلال ابن تيمية ورفاقه بقوله – سبحانه وتعالى – " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله " وغيرها من الآيات التي تؤكد هذا المعنى ؛ أي أنهم مقرون بتوحيد الربوبية فإننا نقول : إن الكفار يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن ينسبوا الخلق للأصنام فاضطرتهم الحجج القاطعة أن يعترفوا بذلك على الرغم من تعظيمهم لأصنامهم وتقديمهم لها على الله – سبحانه وتعالى – في الذبح لها وتقديم القرابين .

وسوف نلقي نظرة سريعة على أقوال المفسرين في مثل هذه الآيات لنرى ما المقصود منها .

يقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون "

المسؤول عنهم أهل مكة ، وإنما قالوا ذلك لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود فأنى يؤفكون ، أي يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك .[2]

---

[1] – فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد ١/٢٥٠

المؤلف: حامد بن محمد بن حسين بن محسن، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار المؤيد، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ /١٩٩٦.

[2] –تفسير البيضاوي ٤/٣٢٢

فكلام البيضاوي واضح في أنهم اضطروا تحت ضغط الأدلة العقلية الواضحة أن ينسبوا الخلق لله ثم هم يتجاهلون ذلك بعد إقرارهم ويشركون مع الله غيره .

ويقول البيضاوي أيضاً (ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذاعته [١]

وقال أيضاً (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) أي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره [٢] .

وقال القرطبي في تفسير قوله – تعالى – " وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً " قال عكرمة : طوعاً من أسلم من غير لجاج ، وكرهاً من اضطرته الحجة إلى التوحيد [٣] .

وفي تفسير قوله – تعالى – " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون " [٤]

قال القرطبي : قال عكرمة : هو مثل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، ثم يصفونه بغير صفته ويجعلون له أنداداً ..... وقيل : نزلت في المنافقين ، والمعنى وما يؤمن أكثرهم بالله أي باللسان إلا وهو كافر بقلبه ذكره الماوردي عن الحسن [٥] .

---

[١] – تفسير البيضاوي ٣٥٠/٤

[٢] – تفسير البيضاوي ١٥٦/٥

[٣] –تفسير القرطبي ١٢٨/٤

[٤] –سورة يوسف الآية ١٠٦

[٥] –تفسير القرطبي ٢٧٣/٩

ويقول الطبري في تفسير الآية السابقة (وما يقر أكثر هؤلاء بالله أنه خالقه ورازقه ، وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام واتخاذهم من دونه أرباباً وزعمهم أن له ولداً – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –) [1]

فكلام الطبري هذا يوضح أنهم يشركون بالله لأنهم يعبدون غيره ؛ ولأنهم أيضاً يتخذون أرباباً من دونه .

هذه بعض أقوال المفسرين في هذه الآيات ، ويتضح منها أنهم لا يفرقون بين ما يسمى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فهذه التفرقة لم تعرف قبل ابن تيمية . من صفات المخلوقين ولا يجوز على الله ذلك ، فبطل كونه جسماً.

ويتساءل الإمام الغزالي سؤلاً مؤداه ، هل يجوز أن يطلق أحد على الله لفظ (جسم) ولا يقصد معنى جسم الذي هو مكون من جواهر متحيزة ؟ يقول الغزالي : إن هذا بحث لغوي أو شرعي فقهي ، إن سمح به الدين واللغة فلا مانع ، وإن منعت اللغة أو الدين ذلك فنمنعه ، ونحن نرى أن لفظ الجسم مما يوهم إلحاق النقص بالله ولو لم يرد معناه فيمنع من إطلاقه على الله – سبحانه وتعالى.

وهناك دليل آخر للمتكلمين على أن الله ليس بجسم ؛ حيث يقولون : إن الجسم هو المركب من أجزاء ، وصاحب الجسم محتاج إلى كل جزء من أجزئه ، وكل جزء من أجزائه محتاج إلى غيره من الأجزاء ليتكامل عمل الجسم ، والاحتياج لا يليق بالله سبحانه وتعالى.

[1] تفسير الطبري ٧٧/١٣

ثم إن الجسم المركب من أجزاء يحتاج إلى من هو سابق عليه ليركبه ويؤلف بين أجزائه ، والله سبحانه وتعالى ليس هناك من هو سابق عليه، والله سبحانه وتعالى غير محتاج إلى غيره ؛ بل كل شيء محتاج إليه عز وجل.[١]

ثم إن الله عز وجل لو كان جسماً فلا يخلو من الحركة أو السكون، وكلاهما حادث ، والله ليس محلاً للحوادث ، كل هذا يثبت أن الله سبحانه وتعالى ليس جسماً.

ثالثاً : الله سبحانه وتعالى ليس في جهة من الجهات

تعتبر هذه القضية من القضايا التى دار حولها جدل واسع النطاق ، وهذا يستدعى منا أن نعرض هذه القضية بشيء من التفصيل فنقول : إن هناك اتجاهين فى هذه المسألة ، اتجاه المؤولين واتجاه مانعى التأويل.

الفريق الأول :

يرون أن الله فى جهة وأنه مستوٍ على العرش. والمجسمة منهم وهم الكرامية يرون أن الله تعالى مماس للعرش أى ملامس له ، والعرش له مكان – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – أما غير الكرامية فيثبتون أن الله فى جهة وهى جهة الفوقية ، وأنه فى السماء ، وأنه مستقر على العرش اسقرارا يليق به ، ومستوٍ على العرش استواءً لا كاستوائنا.[٢]

---

[١] – منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس
المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ)، الناشر: دار الهداية للطبع والنشر والترجمة.

[٢] – المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال
المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب

الفريق الثانى :

وهم أهل السنة ، و هم الأشاعرة وهؤلاء يذهبون إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يحويه مكان وليس فى جهة من الجهات ؛ إذ المكان حادث وله بداية ، والله غير حادث ولا بداية له ، والله سبحانه وتعالى غير محتاج لشيء فهو غنى عن كل ما عداه ، ثم إن الأجسام هى التى تحتاج إلى مكان لتحل فيه والله سبحانه وتعالى منزه عن الجسيمة ، ولا يمكن أن يكون جسماً ، وقد أولوا الآيات التى يوهم ظاهرها أن الله فى جهة ، أو أنه مستوٍ على العرش بما يليق بذاته تعالى وبما يتماشى مع قوله تعالى:" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ".

وسوف نوضح فيما يلى أدلة كل فريق من الفريقين على ما ذهب إليه ، ولكن قبل ذلك لنا كلمة فى الآيات التى توهم تشبيه الله بخلقه كوصف الله باليد والوجه والاستواء نقول : إن الآراء فى هذه المسألة من وجهة نظرنا تنقسم إلى أربعة أقسام :

١ – رأى الصحابة – رضوان الله عليهم – والتابعين من بعدهم فهؤلاء الأبرار آمنوا بالآيات الموجودة فى كتاب الله – سبحانه وتعالى – التى توهم تشبيه الله بخلقه كإثبات اليد والوجه والاستواء والجنب وغيرها لله سبحانه وتعالى فآمنوا بها دون السؤال عن المقصود بها هل هو المعنى المعروف لنا من كلمة اليد أو الوجه ..إلخ أم معنى آخر فلم يهتموا بذلك ولم يتناقشوا فيه بل امتنعوا عن الخوض فى مثل هذا الكلام مع إيمانهم بأن اليد بمعنى الجارحة ليست مرادة من هذا النص لقوله تعالى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ". فهم آمنوا بأن الله لا يشبه أحداً ولا

يشبهه أحد ، فإذا سئلوا بعد ذلك فما المراد باليد إذاً ؟ امتنعوا عن الكلام فى ذلك. [١]

٢ – طائفة أخرى قالوا مثلما قال الصحابة إن الله لا يشبه أحداً من خلقه ؛ فلا يمكن أن تكون اليد التى نعرفها أو الوجه الذى نعرفه هو المراد من مثل هذه الآيات ولكن لم يتوقفوا عند هذا الحد كما فعل الصحابة ، بل أولوا النصوص بما يتفق مع جلال الله ، وبما ينزه الله عن الشبيه ، وكان الذى دفعهم إلى هذا ظهور فرق شبهت الله بخلقه مثل (الكرامية) الذين قالوا : إن الله له يد ووجه وأنه جسم ولحم ودم والعياذُ بالله فاضطر الأشاعرة ومن وافقهم أن يؤلوا هذه الآيات التى استخدمها الكرامية ومن وافقهم للاستدلال على أن الله جسم والعياذ بالله فأولوا اليد مثلا بالقدرة ، وأولوا الاستواء على العرش بالملك والاستيلاء خاصة أن اللغة تسمح بهذا مجازاً.

٣ – أما الفريق الثالث فهم الكرامية ومن وافقهم فقالوا : إن اليد على حقيقتها وأن الله له يد حقيقية ، وأنه مستوٍ على العرش ؛ أى جالس عليه والعرش مكان له سبحانه وهو فوق السماء السابعة وأنه سبحانه ينزل وينتقل كالأجسام والعياذ بالله.

٤ – الفريق الرابع وهم بعض متأخري الحنابلة ومن تأثر بهم كابن تيمية ومن وافقه قالوا بنفى المجاز فى اللغة ، وقالوا : إن المجاز وهو يعنى صرف اللفظ عن ظاهره أو عن استعماله الحقيقى أمر مخترع بعد القرن

---

[١] – تاريخ الفكر الديني الجاهلي

المؤلف: محمد إبراهيم الفيومي (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤

الثالث ، وهذا رأى غريب من ابن تيمية ؛ إذ أن المجاز مستعمل فى اللغة قبل هذا بكثير ، وأشعار العرب فى الجاهلية مليئة بالتشبيهات والاستعارات وكل فنون البلاغة ومعظمها أمور مجازية. [1]

ومن هذا المنطلق وهو نفى المجاز فى اللغة قال هؤلاء بأن الله إذا حدثنا فى القرآن بشىء فلابد أن يكون اللفظ مستخدما فى معناه الحقيقي ، فإذا أخبرنا بأن له يداً فإن هذا يعنى أن اليد مستعملة فى معناها الحقيقي ، والمعنى الحقيقى لليد هى الجارحة ، ولكنهم قالوا : إنها يد لا كأيدينا ، وهذا أمر لا يفيد كثيراً فى تحسين موقفهم بعد أن أثبتوا له يدا كالمخلوقات، وإذا كان له يد لا كأيدى البشر فإنه بناء على ذلك له جسم لا كأجسام البشر ، وهذا يقترب بهم من كلام الكرامية الذين قالوا : إن الله جسم وله يد وجوارح ولكن ليست كجوارح البشر بل هو أضخم من البشر فطوله سبعة أشبار بشبر نفسه والعياذ بالله. هذا كلام الكرامية.

ونحن نرى أن هناك تقارباً بين آرائهم ورأى ابن تيمية ومن وافقه ، إلا أن ابن تيمية لم يقل مثلهم بأنه مكون من لحم ودم ، أو أنه جسم لم يقل ابن تيمية ومن وافقه هذا صراحة ، ولكن من وجهة نظرى أن إثبات اليد الحقيقية والوجه الحقيقى لله ، والنزول والانتقال من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، كل هذا يقرب ابن تيمية من مذهب الكرامية ، وإن كنا ننزه ابن تيمية ورفاقه عن شناعات الكرامية وتجرأهم على الذات الإلهية.

وبعد أن بينا الآراء المختلفة فى الصفات التى توهم تشبيه الله بخلقه نعود إلى مسألة نفى الجهة عن الله تعالى وسنذكر فيما يلى أدلة المثبتين أن

---

[1] –مفهوم الأسماء والصفات

المؤلف: سعد بن عبد الرحمن ندا، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الله فى السماء وأنه مستوٍ على العرش ، وأدلة النافين لوجود الله فى أى جهة من الجهات.

أولاً : أدلة القائلين بأن الله في السماء

قالوا : إن لم يكن الله داخل العالم ولا خارجه ولا في جهة منه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه فأين يكون ؟ إننا لا نفهم موجوداً بهذه الصفات.

قالوا : إذا كان الله ليس في السماء فلماذا نرفع أيدينا عند الدعاء إلى السماء ونتوجه بأبصارنا إليها.

قالوا : إن النبي – صلى الله عليه وسلم – سأل الجارية التي أراد أحد الصحابة أن يختبر إيمانها ليعتقها فسألها النبي – صلى الله عليه وسلم – أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ، فقال : اعتقها فإنها مؤمنة. فقد قبل النبي منها إشارتها إلى السماء ؛ إجابة على سؤاله ، مما يدل على أن الله في السماء.

استدل هؤلاء بقول الإمام مالك حينما سئل عن الاستواء ، فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة. فقالوا: إن الإمام مالك قال : إن الاستواء معلوم أي : هو المعروف لنا من لفظ الاستواء الحقيقي وهو الاستقرار.

هذه هي أهم الأدلة التي استدل بها من أثبتوا لله جهة وقالوا إنه في السماء.

أدلة أهل السنة على أن الله ليس في جهة :

تنقسم أدلة أشاعرة ومن وافقهم إلى قسمين :

القسم الأول : أدلة لهم على أن الله لا يصح أن يكون في جهة من الجهات.

والقسم الثاني : ردوا فيه على أدلة من أثبت أن الله في السماء.

أدلة أهل السنة على نفي الجهة :

قالوا : إن الله لو كان في جهة ويصح أن يشار إليه أنه هنا أو هناك فلابد أن يكون حينئذٍ إما جسماً أو جوهراً فرداً ، والذين يقولون إنه في السماء قالوا : إنه ليس بجسم.

قالوا : لو كان الله في جهة فالجهات (الست) وهي الفوق والتحت واليمين والشمال والأمام والخلف هذه الجهات الست متساوية بالنسبة لله ، فاختصاصه بجهة دون غيرها يحتاج فيه إلى مخصص يرجح جهة على غيرها ، والله سبحانه وتعالى ليس محتاجاً لأحد ؛ لأنه لو احتاج إلى غيره لكان ناقصاً ، والنقص لا يليق بالإله الحق.

جـ- لو كان الله في جهة فلنا أن نسأل هل هو مستغنٍ عن الجهة أم محتاج إليها ، فإن كان مستغنياً عن الجهة فوجوده فيها عبث ، والعبث مستحيل على الله تعالى ، وإن كان محتاجاً ليها لزم أن يكون الله ناقصاً ومحتاجاً إلى غيره ، وهذا مستحيل على الله أيضاً فثبت من هذا أن الله ليس في جهة.[1]

[1] – ينظر شرح البيجورى على اللقانى ١/ ٢٥٤

هذه هي أهم الأدلة التي استدل بها الأشاعرة ومن وافقهم على نفي الجهة عن الله تعالى ، ومن الواضح أنهم أرادوا أن ينزهوا الله عما لا يليق به من الجسمية والاحتياج إلى غيره.

٢ – رد أهل السنة على أدلة المثبتين للجهة :

أ– رد الإمام الرازي على القائلين بأن الله في جهة – وهم مجمعون على أنه في جهة فوق لأنها أشرف الجهات – فقال الإمام الرازي على ذلك : إن الأرض كروية ، وهذا يعني أن ما هو جهة الفوق بالنسبة لأهل الشمال هو جهة سفلية لأهل الجنوب والعكس بالعكس ؛ فأي فوق هذا الذي اختص الله به ، هل هو الفوق بالنسبة لأهل الشمال أم الفوق الذي هو فوق بالنسبة لأهل الجنوب وكلاهما متضادان ؟

والإمام الغزالي في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) يشير إلى ما هو قريب من ذلك ؛ حيث يرى أن وصف الفوق والتحت لم يكن له وجود قبل خلق العالم ، فمعنى الفوق هو ما يلي رأس الإنسان وجهة التحت المقابلة لها. [١]

ونحن نتساءل هل كان فوق قبل خلق العالم أو تحت ؟ والإجابة بالقطع (لا) ؛ لأن الإنسان الذي جعل ما فوق رأسه فوق وما تحت قدمه تحت لم يكن موجوداً ، بل العالم كله لم يكن موجوداً. فقبل خلق العالم لم يكن

---

[١] – الاقتصاد في الاعتقاد١–٢٨

المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)

وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م

فوق ولا تحت ، والله سبحانه وتعالى موجود قبل ذلك كله ، فكيف يقال : إن الله في جهة الفوق ؟!

ب- رد المتكلمين على دليل مثبتي الجهة الذي يقول :

إن الموجود الذي ليس داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه لا نفهمه ولا نعقله ونعتبره غير موجود ، فالله لابد أن يكون إما داخلاً في العالم أو خارجاً عنه في مكان منفصل عنه. فرد أهل السنة على ذلك بقولهم : إن الله سبحانه وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه ؛ فأي مخلوق لابد أن يكون إما داخل أو خارج العالم ، أما الله سبحانه وتعالى فهو مستغنٍ عن كل ذلك ، وأنكم بقولكم هذا تسوون بين الله وخلقه ، وتقسمونه على المخلوقات.

والإمام الغزالي يجيب على هذا الدليل بقوله : إن ما يقولونه من أن الموجود لابد أن يكون إما داخل العالم أو خارجه أمر مسلم وصحيح ومقبول في كل موجود يقبل الجهة ؛ فوجوده مع كونه في غير جهة أمر مستحيل ؛ فالإنسان كائن يقبل الوجود في جهة ، فلو افترضنا أن أحد الناس موجود ولكن لا جهة له فهذا مستحيل ، أما الله سبحانه وتعالى فموجود ليس من اختصاصه أن يكون في جهة ، فخلوه عن طرفي النقيض بكونه ليس في العالم ولا خارجه ليس محالاً عليه ، ويضرب على ذلك مثالاً فيقول :

إن الإنسان الحي يجوز أن يوصف بأنه عالم أو جاهل ، ولا يجوز أن يخلو من هذين الوصفين ، فلا يكون عالماً ولا جاهلاً ، أما الحجر الذي لا حياة فيه فإننا لا نستطيع أن نصفه بالعلم ولا بالجهل فهو ليس عالماً ولا جاهلاً ؛ لأن هذا الوصف ليس من اختصاصه ؛ لأنه فاقد للحياة التي هي

شرط في وصف المخلوق بالعلم أو الجهل ، وكذلك الوجود في جهة مشروط بكون الموجود جسماً ، وأما ما لا جسم له فليس مختصاً بالجهات والأماكن.[١]

ونحن نقول : إن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا فى أنفسنا ما يعيننا على فهم هذا الأمر ؛ فالروح الإنسانية لا نشك فى وجودها وهى أشرف وأعلى مرتبة من الجسم ؛ لأن الجسم مجرد آلة ، أما الروح ففيها الإحساس والشعور والفعل وكل ما يفعله الإنسان فالروح مصدره ، ومع شرفها وعلو رتبتها فإنها لا تحتاج إلى مكان لتحل فيه ؛ لأنها ليست جسمانية وإنما هى روحانية عقلية ، فإذا شرَّحنا الإنسان لنحدد مكان هذه الروح فإننا سنضيع وقتنا عبثا ولن نستطيع أبداً أن نجد مكانها ؛ لأنها لا تحتاج إلى مكان أصلا ، فهى ليست داخل الجسم فى مكان معين وليست خارج الجسم ؛ لأن الإنسان يشعر بتأثيرها فيه ، فإذا كان هذا موجوداً فينا وفى أنفسنا فهل هو مستبعد على الله سبحانه وتعالى أشرف موجود ، والذى لا يقارن به غيره وصدق الله إذ يقول :" وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ "[٢]

أى أن الله جعل لنا من أنفسنا أدلة على وجوده سبحانه.

---

[١] ١- ٥٠- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى
المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)
المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي
الناشر: الجفان والجابي – قبرص
الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

[٢] – الذاريات : ٢١.

٣- أما الدليل الذى يقول فيه مثبتو الجهة : إننا نتوجه بأيدينا وقت الدعاء إلى السماء ونوجه وجوهنا نحوها مما يدل على أن الله فى السماء ، فقد رد أهل السنة على ذلك بأن هذا لو كان صحيحا فلماذ لم يقل أحد : إن الله فى الكعبة لأننا نتوجه إليها ؟ ولم يقل أحد : إن الله فى الأرض لأننا نسجد عليها ، ونكون أقرب ما يكون من الله فى السجود ، فهل معنى هذا أن الله فى الأرض ، ونحن بسجودنا قد اقتربنا منه ؟ لا شك أن هذا يأباه كل مسلم.

فالسماء قد جعلها الله قِبلة للدعاء ، كما جعل الكعبة قبلة للصلاة ، وليس هو سبحانه حالاً فى أحد منهما. وللإمام الغزالى فى تلك النقطة كلام رائع أنقله هنا بنصه ، حيث يقول الإمام الغزالى فى كتابه (الاقتصاد فى الاعتقاد):.

(فإن قيل : وإن لم يكن – أى الله – مخصوصاً بجهة فوق فما بال الوجوه والأيدى ترفع إلى السماء فى الأدعية شرعا وطبعاً ؛ أى : أن الشرع علمنا ذلك ، وكذلك فى طباع الناس أن تتجه إلى السماء فى الدعاء. والجواب أن هذا يضاهى أى – يماثل – قول القائل : إن لم يكن الله فى الكعبة فما بالنا نحجه ونزوره ؟

وما بالنا نستقبله فى الصلاة ؛ أى :(البيت الحرام) وإن لم يكن فى الأرض فلم نتذلل بوضع وجوهنا على الأرض فى السجود ؟ وهذا هذيان. بل يقال: قصد الشرع من تعبد الخلق بالقبلة فى الصلاة ملازمة الثبوت فى جهة واحدة ، فإن ذلك لامحالة أقرب إلى الخشوع وحضور القلب من التردد على الجهات ؛ أى: أفضل من أن يصلى كل مرة إلى جهة ، مع أن ذلك بالنسبة لله لافرق فيه. فأينما تولوا فثم وجه الله ، ثم لما كانت

الجهات متساوية من حيث إن الاستقبال – أى أن التوجه فى الصلاة إلى أى مكان جائز إذا لم يكن الله حدد مكاناً معيناً ؛ فالأماكن كلها لله ، خصص الله بقعة مخصوصة بالتشريف والتعظيم وشرفها بالإضافة إلى نفسه ؛ حيث إنها بيته الحرام واستمال القلوب إليها بتشريفه لتثبت على استقبالها. فكذلك السماء قبلة الدعاء كما أن البيت – أى البيت الحرام – قبلة الصلاة ، والمعبود بالصلاة والدعاء وهو الله ، منزه عن الحلول فى البيت والسماء).[١]

ويواصل الغزالي كلامه فيبين بعض الحكمة من السجود ، ووضع الجبهة على الأرض ، ومن رفع الأيدي فى الدعاء إلى السماء فيقول فى كلام رائع يؤكد عبقرية الغزالى

(ثم فى الإشارة إلى السماء سر لطيف يعز – أى يقل – من يتنبه لأمثاله وهو أن نجاة العبد وفوزه فى الآخرة بأن يتواضع لله تعالى فى نفسه ويعتقد التعظيم لربه تعالى. والتواضع عمل القلب – أى أنه معنى فى القلب – وآلته العقل و الجوارح – أى الأعضاء الجسدية – إنما تستعمل لتطهير القلب وتزكيته ، فإن القلب خلق خلقة تتأثر بالمواظبة على أعمال الجوارح ؛ أى أن ما يعمله الإنسان ويتعود عليه يؤثر فى القلب ، فبالأعمال الطيبة يصير القلب طاهراً ، أما إذا أفسدت الجوارح وعملت الشر فإن القلب يسود ويصير قلباً فاسداً ، كما خلقت الجوارح متأثرة بمعتقدات القلوب ، فما تطمئن إليه القلوب تنفذه الجوارح ، ولما كان المقصود أن يتواضع فى نفسه بعقله وقلبه بأن يعرف قدره ليعرف خسة رتبته فى الوجود بالنسبة لجلال الله تعالى وعلوه ، وكان من أعظم الأدلة

[١] – الاقتصاد فى الاعتقاد١– ٣٥

على خسته الموجبة لتواضعه ، وأنه مخلوق من تراب أن يضع على التراب الذى هو أذل الأشياء وجهه ، الذى هو أعز الأعضاء فيه ؛ ليستشعر قلبه التواضع ويكون العقل متواضعاً لربه بما يليق به – أى ما يناسب تواضع العقل – وهو معرفة الضعة ، وسقوط الرتبة ، وخسة المنزلة عند الالتفاف إلى ما خلق منه وهو التراب. فكذلك التعظيم لله تعالى وظيفته القلب وفيها نجاته ، وذلك أيضاً ينبغى أن تشترك فيه الجوارح بالقدر الذى يمكن أن تحتمل الجوارح ؟؟؟؟؟

وتعظيم القلب بالإشارة إلى علو المرتبة على طريقة المعرفة والاعتقاد – أى أن التعظيم بالقلب معناه الاعتقاد والإيمان بعلو رتبة المولى – عز وجل – فإن غاية تعظيم الجارحة استعمالها فى الجهات.

حتى أن المعتاد المفهوم من المحاورات التى يفصح الإنسان عن علو رتبة غيره فيقول : أمره فى السماء السابعة ، وهو إنما ينبه على علو الرتبة لكنه يستعير به علو المكان ، وقد يشير برأسه إلى السماء فى تعظيم من يريد تعظيم أمره ؛ أى أمره فى السماء أى : فى العلو وتكون السماء عبارة عن علو الرتبة. فانظر كيف تلطف الشرع بقلوب الخلق وجوارحهم من سياقها إلى تعظيم الله ؟ وكيف جهل من وقلَّت بصيرته ولم يلتفت إلا إلى ظواهر الجوارح والأجسام ، وغفل عن أسرار القلوب فاستغنى بها فى التعظيم عن تقدير الجهات ، وظن أن الأصل ما يشار إليه بالجوارح ، ولم يعرف أن المظنة الأولى لتعظيم القلب وأن تعظيمه باعتقاد علو الرتبة لا باعتقاد علو المكان ، وأن الجوارح فى ذلك خدم وأتباع يخدمون القلب على الموافقة فى التعظيم بقدر الممكن فيها ، ولا

يمكن للجوارح إلا الإشارة إلى الجهات فهذا هو السر فى رفع الوجوه والأيدى إلى السماء عند قصد التعظيم). [١]

٤ – أما حديث الجارية التى أراد سيدها أن يعتقها فأتى بها إلى النبى – صلي الله عليه وسلم – ليختبر إيمانها فسألها أين الله ؟ فأشارت إلى السماء فقال له النبى – صلي الله عليه وسلم – : أعتقها فإنها مؤمنة.

فقد أجاب أهل السنة على ذلك بأن الجارية كانت خرساء لا تستطيع أن تعبر عن اعتقادها بالألفاظ ، وكانت قبل ذلك من عباد الأصنام ، فأشارت إلى السماء بيدها لتدل على أنها لا تعبد آلهة فى الأرض.

والغزالى يقول فى ذلك :(وأما حكمه – صلوات الله عليه – على الجارية بالإيمان لما أشارت إلى السماء فقد انكشف به أيضاً ؛ إذ ظهر أنه لا سبيل للأخرس إلى تفهم علو الرتبة إلا بالإشارة إلى جهة العلو ، ولقد كانت خرساء – كما حكى – و قد كان يظن بها أنها من عُبّاد الأوثان ، ومن يعتقد إلهه فى بيت الأصنام ، فاستنطقت بمعتقدها ، فعرضت بالإشارة إلى السماء أن معبودها ليس فى بيوت الأصنام كما يعتقد أولئك). [٢]

٥ – أما قول الإمام مالك :(الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة)

فقد فسره مثبتو الجهة على ما يوافق ما ذهبوا إليه ، فقالوا : إن الاستواء معلوم لنا أى نعرف من اللغة أن الاستواء هو الاستقرار ، والكيف مجهول

---

[١] المرجع السابق–

[٢] الاقتصاد فى الاعتقاد ١/– ٣٦

أى أن استواء الله لا كاستوائنا ، والإيمان به واجب ؛ أى يجب علينا أن نؤمن بالاستواء المعلوم لنا ، والسؤال عنه بدعة ؛ أى : الكيفية.

وقد رد أهل السنة على ذلك بأن : تأويلكم لكلام الإمام مالك على هذا النحو لا يستقيم وليس سليماً ؛ فالإمام مالك يقول : الاستواء معلوم أى علمناه من القرآن أى مذكور فى القرآن فأصبح معلوماً لنا بذلك ، والكيف مجهول ، أى : نؤمن بأن هنالك استواء لله ، أما كيفيته هل هو الاستيلاء والملك أم الاستقرار فهذا أمر لم يذكره القرآن ولا نخوض فيه ، والإيمان به واجب أى: نؤمن بأن هناك لله استواءً ولا نزيد ، لا يعلمه إلا هو والسؤال عنه بدعة ، أى : الكلام عن كيفية الاستواء بدعة يجب ألا نخوض فيها.

أما تفسير مثبتى الجهة لكلام الإمام مالك فيحمل فى طياته تناقضاً ؛ حيث إنهم قالوا : إن قول الإمام مالك : الاستواء معلوم أى : معروف معناه ؛ لأن الاستواء فى اللغة هو الاستقرار ، وهذا التفسير يتنافى مع قوله : الكيف مجهول ؛ إذ لو كان الاستواء معلوماً لنا ، وهو بمعنى الاستقرار ، فمعنى ذلك أن الكيف أيضاً معلوم ، وهذا أمر لم يقصده الإمام مالك على الإطلاق ولا يحتمله كلامه ؛

هذا هو مذهب أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية) ومن وافقهم فى مسألة الجهة ، وقد أرادوا بكلامهم هذا تنزيه الله عما لا يليق به ، فلو كان الله سبحانه وتعالى فى جهة لكان محويا فى الجهة ولكانت الجهة أكبر منه والعياذ بالله ، ولو كان استواء الله على العرش بمعنى الاستقرار لكان الله سبحانه وتعالى محويا فى العرش والعرش أكبر منه ، ثم إن هذا يوهم باحتياج الله إلى العرش وهو مخلوق ، واحتياج الله إلى خلقه أمر مستحيل ، وكيف يقال : إن الله فى السماء أو مستقر على العرش ،

والسماء والعرش محفوظان بحفظ الله فكيف يتصور احتياجه سبحانه وتعالى إلى مخلوقاته فهى المحتاجة إليه المحفوظة بحفظه ؟.

" إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " [فاطر : ٤١].

فالسماء والأرض والعرش والكرسى وكل المخلوقات باقية بفضله إلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى ، وقد كان الله فى الأزل ولا شىء معه ، لا عرش ، ولا كرسى ، ولا سماء ، ولا أرض ، فما الذى تغير حتى يحتاج الله إلى سماء أو عرش أو كرسى أو غيرها ؟

بعد هذا نقول : إن الأولى فى هذه المسألة وغيرها من المتشابهات أن يترك الأمر فيها لله سبحانه وتعالى ؛ فنؤمن بالآيات كما هى ، ونترك تفسيرها وتأويلها لله سبحانه وتعالى ، فنقول : إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر اليد والوجه والاستواء فى القرآن ، وهو سبحانه وحده أعلم بمراده بهذه الأمور .

فلا نقول : إن له يداً ولكن لا كأيدينا ، ولا نقول : إن اليد معناها القدرة أو النعمة ، وإنما نترك ذلك لله كما فعل الصحابة – رضوان الله عليهم – مع الاعتقاد بأن الله لا يشبه خلقه.

وفى النهاية نريد أن ننبه على أن الذين أثبتوا لله الجهة ، والذين نفوا الجهة عن الله كلاهما خاض فى المسألة وتكلم فيها بما لم يتكلم به الصحابة – رضوان الله عليهم – فالمثبتون استدلوا لرأيهم وناقشوا وجادلوا ، والنافون كذلك ؛ فليس أحدهما بأولى من صاحبه فى ذلك ، وليس له فضل على صاحبه ، ولا أن يقول : إن مذهبه هو السلف الصالح ؛

فالسلف تركوا الأمر برمته لله سبحانه وتعالى ، وقد كان المؤلون كما رأينا أقرب إلى الصحابة من غيرهم.

وإنما اضطروا للتأويل تحت ضغط الفتن ، أما وإن أردنا السلامة فلنفوض الأمر كله لله ، ولا نتكلم بإثبات أو بنفى ؛ وهذا ما عناه الإمام مالك بقوله: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ، فنؤمن بالاستواء لأنه مذكور فى القرآن ، ولا نتكلم فى حقيقة الاستواء هل هو استقرار على العرش أم ملك واستعلاء ، هذا هو الإسلام ، وطوبى لمن ترك المراء – أى الجدال – و لو كان محقاً ، أما أن يصل بنا الحال إلى تكفير بعضنا بعضاً بمسائل هى من المتشابه ؛ فهذا مما لا يرضى الله سبحانه وتعالى ، ويزيد البغضاء بين أبناء الأمة و يجعلنا جميعاً عرضة لغضب الجبار سبحانه وتعالى.

الرد على المجسمة والمشبهة وأصحاب الحلول والاتحاد:

لقد تكلمنا فيما سبق عن أن الله تعالى ليس بجسم ، ووضحنا أن بعض الفرق مثل الكرامية قالوا بأن الله جسم ، وشبهوه بخلقه ، وقد رددنا على ذلك وبيَّنا بالأدلة أن الله ليس بجوهر ولا جسم ،وأنه لا يشبهه أحداً من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه. ولن نعيد هذا الكلام هنا مرة أخرى.

أما عن أصحاب الحلول والاتحاد على سبيل التبعية ؛ أي أن من حلَّ في شيء وصار بداخله فهو تابع له ؛ فالجسم الأبيض مثلاً حلّ فيه البياض وأصبح تابعاً له في الوجود ، ومتى انعدم الجسم انعدم اللون الأبيض بالتأكيد لأنه تابع له. وأما الاتحاد فإن معناه امتزاج شيء بشيء ؛ فالنصارى يقولون : إن اللاهوت اتحد مع الناسوت في عيسى – عليه السلام – أي امتزج الجزء الإلهي مع الجزء الإنساني فيه ، والحلول والاتحاد لا يجوزان على الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لو حل في جسم أو في مكان لكان محتاجاً لما حل فيه ، والاحتياج نقص لا يليق بالله سبحانه وتعالى ، ولو حل في جسم أو اتحد به لكان محدوداً تبعاً للجسم الذي حل فيه أو اتحد به ، والله سبحانه وتعالى لا حد له ، ولو حل الله في جسم لكان إما محتاجاً إلى الجسم أو مستغنياً عنه ، فلو كان مستغنياً عنه فالحلول فيه يكون عبثاً ، والله منزه عن العبث ، ولو كان محتاجاً إلى الجسم الذي يحل فيه لكان الجسم قديماً مثله ، وهذا باطل ؛ لأننا أثبتنا أن العالم بكل ما فيه حادث أو يكون الله حادث مثل الجسم ، وهذا باطل أيضاً ؛ لأننا أثبتنا أن الله سبحانه وتعالى قديم لا أول له ، أو أن الله كان مستغنياً قبل خلق العالم ثم احتاج بعد ذلك ، وهذا

باطل ؛ لأن الله لا يجوز عليه التغير فإذا كان مستغنياً منذ القدم فلا يتبدل هذا الاستغناء أبداً.

ولو كان الله حالاً في جسم أي يجوز عليه أن يحل في الأجسام فإن اختصاصه بجسم دون غيره مع أن الأجسام بالنسبة له سواء يحتاج إلى مخصص ليخصص له الجسم الذي يحل فيه ، والاحتياج للمخصص نقص لا يليق بالله.

فالنصارى القائلين بأن الله حَلَّ في الإنسان أو اتحد به قد شبهوا الله بخلقه وجوزوا عليه : الحد ، والحصر ، والاحتياج ، والانتقال ، والتبدل ، والتغير ، وجعلوه تابعاً للجسم الذي حل فيه ، وكل هذا يلحق النقص بمعبودهم ، ونحن ننزه الله عن ذلك. بقي لنا أن نقول : إن الله سبحانه وتعالى قد رد على ذلك ونبه أصحاب العقول إلى استحالة أن يشبهه أحد بقوله تعالى :" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ " ، فكل ما نعرفه فالله بخلافه ، وكذلك بقوله تعالى :" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ " [1]

ورد على القائلين بأن لله ولداً بقوله سبحانه وتعالى :" بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ " [2]

فالله ينبّه أصحاب العقول بأنه مستغنٍ عن البشر وعن الصاحبة ، فكيف يكون له ولد ؟

---

[1] – الإخلاص : ١– ٤ ،

[2] – الأنعام : ١٠١

وقد وضح الله سبحانه وتعالى أن الله لا يجوز أن يكون له ولد ، وأن عيسى وأمه ما هما إلا بشر ، والله ليس كذلك فقد قال الله تعالى :" مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [١]

فالله سبحانه وتعالى قد رد في هذه الآية على النصارى القائلين ببنوة المسيح فنبه الله أصحاب العقول على أن عيسى وأمه يأكلان الطعام فهما محتاجان إلى الطعام ، ولو كانا إلهين لما احتاجا إلى شيء أصلاً ، فالطعام هو الذي يربطهم بالحياة ، وإذا لم يجدوا الطعام لانقطعت صلتهم بالحياة ولحقهم الموت ، فهل يكون الإله كذلك ، ثم إن الله يشير من طرفٍ خفيٍ وبلطف وأدبٍ راقٍ بأن من يحتاج إلى الطعام فإنه يحتاج إلى إخراج فضلاته ؛ وعملية إخراج الفضلات عملية غاية في الاحتياج والضعف والمذلة ، فهل يكون الإله كذلك ؟ اللهم لا ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإذا كان النصارى قد جوزوا على الله الحلول والاتحاد فإن بعض فرق المسلمين قد جوزوا على الله ذلك مثل (النُّصَيرية) من فرق الشيعة ، وبعض المتصوفة مثل : ابن عربي ، قالوا بوحدة الوجود ؛ أي أن البشر يستطيعون الاتحاد بالله إذا صفوا وأخلصوا ، وهذا هراء وافتراء على الله سبحانه وتعالى ،

[١] – " المائدة : ٧٥.

الفصل الثاني

إثبات صفة القدم لله عز وجل

مفهوم القدم :

من صفات الله تعالى القدم وسنتعرف على هذه الصفة ومفهومها والأدلة من القرآن ومن العقل على اتصاف الله بها ولكن قبل ذلك نريد أن نوضح أن القدم له معان مختلفة كالتالي

١- قديم بمعنى أنه لا أول ولا بداية لوجوده وهذا يسمى بالقدم الذاتي[١]

٢-قديم بمعنى أنه موجود منذ زمن طويل مثل أن نقول هذا مبنى قديم فهذا المبنى له وقت بني فيه ولكن مر على بنائه وقت طويل وهذا النوع من القدم يسمى قدماً زمانيا

٣-هناك نوع آخر يسمونه القدم الإضافي ومعناه أن شيئاً ما قديم بالمقارنة بغيره مثل أن يقال القميص القديم تمييزاً له عن آخر اشتريته قريباً وربما نكون امتلكت هذا القديم منذ وقت ليس ببعيد ولكنه أصبح قديماً إذا ما قورن بالقميص الجديد فالقميص الذي اشتريته أمس يصبح قديماً بالنسبة لما اشتريته اليوم.

وواضح أن الله سبحانه وتعالى لا يليق به إلا أن يكون قديماً قدماً ذاتياً بمعنى أنه قديم بلا بداية فلم يكن هناك وقت لم يكن الله فيه موجوداً أما

[١] - دراسات فى العقيدة د فتحى الزغبى ص ١٦٥

القدم الزماني أو القدم الإضافي فلا يليقان بالله سبحانه وتعالى ولكنهما يليقان بالمخلوقات[١].

وبناءً غلى ما سبق فإن أهل السنة عرفوا صفة القدم بالنسبة لله – تعالى – فقالوا إن معناها " عدم أوليته – تعالى – " فالله سبحانه وتعالى لا أول لوجوده ولا بداية له.

الأدلة على اتصاف الله بالقدم :

هناك عدة أدلة استدل بها أهل السنة على اتصاف الله بالقدم منها أدلة نقلية (من القرآن أو السنة النبوية) ومنها أدلة عقلية وإليك بعض هذه الأدلة

الأدلة النقلية:

١- يقول تعالى " هو الأول والآخر " فقوله تعالى هو الأول دليل على أنه سبحانه أول بل بداية وليس قبله شيء.

٢-يقول النبي صلى الله عليه وسلم " كان الله ولا شيء معه " فهو سبحانه كان موجوداً منذ الأزل ولم يكن معه موجود آخر ثم خلق المخلوقات في الوقت الذي أراد

الأدلة العقلية :

استدل أهل السنة على إثبات هذه الصفة فقالوا لو لم يكن الله قديماً بلا بداية لكان حادثاً بمعنى أن يكون لوجوده بداية ولو كان له بداية فلابد أن يكون هناك من أوجده لأن العقل يحكم بأن كل شيء يوجد بعد أن كان معدوماً فلابد له من خالق أوجده فلا شيء يخلق نفسه بعد أن كان غير موجود

[١] دراسات فى العقيدة ص ١٦٦

وإذا كان هناك من أوجده فهو أحق بالألوهية منه فإن كان قديماً بلا بداية فهو الإله وإن كان حادثاً وله بدايه فيكون هناك من أوجده وهكذا حتى نصل إلى خالق قديم لا بداية لوجوده وهو الذي أوجد كل شيء فهذا هو الإله الحق القديم بلا بداية[1]

[1] ينظر علم الكلام د حسن الشافعى ص ١٢٧

الفصل الثالث

إثبات صفة البقاء لله عز وجل

صفة البقاء تعني أ ن الله سبحانه وتعالى باقٍ بعد فناء خلقه وليس له نهاية فالبقاء معناه عدم آخرية وجوده – سبحانه وتعالى – فوجوده ليس منتهياً ولا يؤول إلى العدم أبداً وهو الباقي بعد فناء كل شيء

الأدلة على اتصاف الله بالبقاء :

١– الأدلة النقلية

استدل أهل السنة على اتصاف الله بصفة البقاء بقوله تعالى " هو الأول والآخر " أي أنه الأول بلا بداية وهذه صفة القدم والآخر بلا نهاية وهذه صفة البقاء

-كما استدلوا بقوله تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه " وقوله تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " فهذه الآيات تثبت أن الفناء نهاية كل مخلوق والله وحده هو الباقي الذي لا يلحقه فناء.

2:الدليل العقلي

لو لم يكن الله باقياً لاتصف بالفناء والفناء نقص لا يليق بالله سبحانه فالإله الحق لا يلحقه نقص ثم إننا اثبتنا أن الله قديم بلا بداية والقديم لا يفنى فثبت أن الله باقٍ بلا نهاية.

الفصل الرابع
إثبات صفة القيام بالنفس لله عز وجل

من الصفات الواجبة لله سبحانه وتعالى صفة القيام بالنفس وهي تعني عدم احتياج الله – سبحانه وتعالى – إلى غيره من إنس أو جن أو ملائكة ولا يحتاج إلى آلات أو معاونين يساعدونه في أمور الكون بل هو – سبحانه مستغنٍ بذاته عن كل شيء والكل محتاج إليه ولا يستغني عنه

والقيام بالنفس تعني أيضاً أن الله ليس محتاجاً لمكان ليحل فيه ز

الأدلة على إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى:

الأدلة النقلية :

-يقول تعالى " يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد " فالله سبحانه وتعالى يثبت أنه غني عن العالمين وغير محتاج إليهم وأن جميع الناس يحتاجون إليه سبحانه

-ويقول تعالى " ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً " فالله سبحانه وتعالى يقرر في هذه الآية أنه سبحانه لا يحتاج إلى مساعدة أو معاونة أحد فمعنى عضداً اي معاونا ومساعدا

-الدليل العقلي :

لو لم يكن الله سبحانه وتعالى مستغنياً عن غيره لكان محتاجاً للغير ليساعدوه ويعاونوه والمحتاج لا يكون إلها لأن المحتاج ضعيف وناقص والإله لا يكون ضعيفاً ولا ناقصاً فالإله الحق لابد أن يكون كاملاً من كل وجه من هنا يثبت أن الله سبحانه وتعالى غير محتاج لغيره

الفصل الخامس

إثبات صفة المخالفة للحوادث لله عز وجل

صفة المخالفة للحوادث تعني أن الله سبحانه وتعالى غير مماثل ولا مشابه لشيء من المخلوقات فالحوادث تعني المخلوقات فالله سبحانه وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه في ذاته ولا في صفاته فكل ما جال بخاطرك فالله بخلاف ذلك فذاته سبحانه ليست جسماً ولا صفة لجسم ولا تخضع لزمان ولا تحتاج إلى مكان لأنه الخالق لهذه الأشياء.

وكذلك صفاته سبحانه ليست كصفات المخلوقات فقدرة الله مثلاً لا يعجزها شيء وقدرات الخلق محدودة وعلم الله محيط بكل شيء ولا يسبقه خفاء بينما علوم البشر محودة ويسبقها خفاء وجهل وهكذا فكل صفات الله تختلف عن صفات المخلوقات يقول أبو حنيفة رضي الله عنه مبيناً معتقد أهل السنة في ذلك " صفاته تعالى بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويسمع لا كسمعنا ..... وهو شيء لا كالأشياء ولا حد له ولا ند له ولا ضد له ولا مثل له "

وإذا كان الله لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته فكذلك لا بشبهه شيء في أفعاله فلا يستطيع أحد أن يفعل مثل ما يفعل الله من الخلق والرزق والإماتة والإحياء وغير ذلك مما لا يفعله غلا الله تعالى

الأدلة على اتصاف الله بهذه الصفة

-الأدلة النقلية

-قال تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

[1] - ويقول تعالى " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد "

فالآيات السابقة توضح أن الله لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وليس له ند ولا مكافئ أي مماثل

-الدليل العقلي

لو لم يكن الله مخالفاً للحوادث أي المخلوقات لكان مشابهاً لهم ولكان مخلوقاً مثلهم ولكان محتاجاً لخالق يخلقه وقد أثبتنا فيما مضى أنه وحده الخالق وأنه قديم بلا بداية ولا يحتاج إلى خالق بل كل شيء محتاج إليه فإذا ثبت هذا فقد ثبت أنه ليس مشابهاً للمخلوقات[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن أهل السنة حينما تكلموا عن هذه الصفة – صفة المخالفة للحوادث – نبهوا على أن الله سبحانه وتعالى لأنه مختلف عن خلقه فإنه ليس جسماً مثل المخلوقات ولا يحتاج إلى مكان أو جهة ليحل فيها مثل المخلوقات ولا ندرك حقيقته وكنهه بالحواس ولا بغيرها وسوف نعرض رأي أهل السنة من الأشاعرة ومن معهم في بعض هذه الأمور خاصة ما دار حولها اختلاف مع بعض الفرق الأخرى فنتكلم عن نفي الجسمية عن الله ونفي الجهة والمكان عنه سبحانه بشيء من الإيضاح فيما يلي:

[1] سورة الاخلاص

[2] دراسات فى علم العقيدة د محمد الخولى ص ١٥٦

الله تعالى ليس جسما: -

يرى أهل السنة أن الله سبحانه وتعالى ليس جسماً لأن الله ليس كمثله شيء ولأن الجسم هو المركب من أجزاء يحتاج إليها والتركيب والاحتياج لا يليقان بالله تعالى وأهل السنة حينما نفوا أن يكون الله تعالى جسماً استندوا إلى أن الله لو كان جسماً لكان محدوداً مثل الأجسام وله مقدار معين وهذه طبيعة الأجسام وهذه أمور لا تليق بالله وإذا كان الله جسماً فإنه لن يخلو من الحركة والسكون وهما من لوازم الأجسام وهي أمور متغيره والله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه التغير وينبغي أن نعلم أن بعض الفرق المنتسبة للإسلام ادعت أن لله جسماً مثل الأجسام وله يد وعين ووجه حقيقة لا مجازاً وأنه لحم ودم وغير ذلك من الأباطيل والضلالات تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا[١]ً

ومن هذه الفرق فرقة تسمى الكرامية نسبة إلى رئيسهم محمد بن كرام السجستاني الذي استدل على آرائه بظواهر بعض الآيات التي جاء فيها ذكر اليد والعين والوجه وغيرها

وقد رد أهل السنة عليهم ووضحوا رأيهم في ذلك درءاً لفتنة هؤلاء وأولوا هذه الآيات بما يليق بذات الله تعالى ولا ينسب النقص إليه وفي إطار قوله تعالى " ليس كمثله شيء " فكل ما يجعل الله شبيهاً بخلقه فهو باطل ولا يليق بالله تعالى وسنتكلم في النقطة التالية بشيء من التفصيل عن ذلك.

[١] – موسوعة العقيدة وزارة الاوقاف ص ١٢٣٠

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

وبعد :.

فهذا بحث عن الصفات التنزيهية ، لبيان ما يليق بالله سبحانه وتعالى عرضت لبعض الشبهات ، وما أثير حول وحدانية الله من كلام ابن تيمية وتلاميذه ثم فندت كلامهم وبينت وجهة أهل السنة والجماعة (الاشاعرة والماتريدية)

وقد رجعت لكتب التراث لبيان اقوال علماء اهل السنة ، والحق الذى لا مرية فيه أن رأى اهل السنة هو الموافق لما عليه نصوص القران الكريم والسنة النبوية .

النتائج:. وقد تبين لي بعض النتائج نذكر منها ما يلي:.

أولًا:. يعد منهج أهل السنة الأشاعرة هو المنهج الوسط القائم على العقل والنقل، بلا شطط أو غلو، أو إفراط وتفريط.

ثانيًا:. اعتناق كافة المسلمين في جميع الأقطار والأمصار المذهب الأشعري.

ثالثًا:. غلو الاتجاه التيمي ومخالفة العقيدة الصحيحة المعتمد على النقل والعقل .

رابعًا:. القرآن الكريم لم يترك أي جزئية إلا وذكرها ، وفند آراء المخالفين ونقدها.

التوصيات:. لا بد من إيضاح العديد من التوصيات الازمة للباحثين منها:.

أولًا: تقوية جانب الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ببناء عقلية ناقدة تنقض آراء كل من يخالف الإسلام.

ثانيًا: العمل على نشر الدروس العقدية، لبناء عقيدة المسلم الصحيحة بعيدًا عن الاتجاه التيمي.

والله اسأل التوفيق والسداد

المراجع

«الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» لابن القيم ط دار العاصمة – الرياض ١٤١٨ هـ ط الثانية / تحقيق / د. علي بن محمد الدخيل

«تفسير البيضاوي» الامام البيضاوي ط دار التراث الاولى ١٩٨٠

«تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية» ط مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ١٤١٧ هـ الطبعة الأولى تحقيق محمد علي كمال

«درء تعارض العقل والنقل »لابن تيمية طبعة دار الكنوز الأدبية – الرياض ، ١٣٩١ هـ تحقيق/ محمد رشاد سليم

«دقائق التفسير لابن تيمية» الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) طبعة مؤسسة علوم القرأن دمشق ١٤٠٤ هـ الطبعة الثانية تحقيق علي بن محمد الدخيل

«شفاء العليل لابن القيم » طبعة دار الفكر بيروت ١٩٧٨ تحقيق / محمد سعد الدين أبو فراس الحلبي .

«صحيح الإمام مسلم» ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

«عدة الصابرين »لابن القيم طبعة المكتبة العلمية – بيروت ، بدون تاريخ تحقيق / زكريا علي يوسف

«فتاوى ابن تيمية» ط الثانية احياء الكتب

«قواعد العقائد » المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ المحقق: موسى محمد علي الناشر: عالم الكتب الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥

»درء تعارض العقل والنقل» ابن تيمية ط دار الفكر الثانية ١٩٧٨

إغاثة اللهفان » ابن القيم ط الاولى دار الفكر بدون

مباحث فى علم الكلام د حسن الشافعى ط دار السلام.

فهرس الموضوعات.

م	الموضوع
١	مقدمة.....
٢	تمهيد.....
٣	الفصل الأول إثبات صفة الوحدانية لله عز وجل.....
٤	الفصل الثاني إثبات صفة القدم لله عز وجل .....
٥	الفصل الثالث إثبات صفة البقاء لله عز وجل.....
٦	الفصل الرابع إثبات صفة القيام بالنفس لله عز وجل .....
٧	الفصل الخامس إثبات صفة المخالفة للحوادث لله عز وجل.....
٨	خاتمة.....
٩	المراجع والمصادر.....
١٠	فهرس الموضوعات.....